المطران فرنسيس البيسري

التّقسيم في تعاليم الكنيسة والمخطوطات المارونيّة



منشورات جامعة سيّدة اللويزة
NDU PRESS

التّقسيم
في تعاليم الكنيسة
والمخطوطات المارونيّة

التّقسيم
في تعاليم الكنيسة
والمخطوطات المارونيّة

تحـــريـــر	جورج مغامس

منشــورات	جامعة سيِّدة اللويزة©
ص.ب.: ٧٢ زوق مكايل – لبنان
تلفون: ٠٩/٢١٨٩٥٠/١
فاكس: ٠٩/٢١٨٧٧١
http:/www.ndu.edu.lb

تـنفيـــذ	مطابع معوشي وزكريّا

الطّبعة الأولى	٢٠٠٤

القيـــاس	١٧×٢٤ سم

ISBN: 9953-418-90-X

المطران فرنسيس البيسري

التّقسيم في تعاليم الكنيسة والمخطوطات المارونيّة

منشورات
جامعة سيّدة اللويزة
NDU PRESS

مقدّمة

أقرُّ وأعترف بأنّي من جيل لم يعطَ، في الجامعة، إلاّ القليل القليل عن الشّيطان. وبالتّالي، لم أتكلّم عليه إلاّ لماماً. وإنّي أكتب هذا الكتاب حول التّقسيم، لا لأنّي اختصاصيّ بالمادّة، بل انطلاقاً من أنّي راعٍ للخراف، ونافض الغبار عن المخطوطات المارونيّة ومُقدِّمها مَعيناً يستقي منه العلماء والمحقّقون والبحّاثة، ويُفيد منه الآخرون.

لقد سمعت وقرأت ما يخبره الإنجيل عنه، وعلى سبيل المثال لا الحصر: تجربة يسوع من الشّيطان في البريّة[1]. ورأيت صورته في الرّسوم غير المتحرّكة، الّتي كنّا نستعملها في أمثولات التّعليم المسيحيّ. فهو خليقة يعلو رأسه قرنان وله ذَنَب. عيناه لوزيّتان، ووجهه مستطيل بشع، وأذناه مروّستان، وفمه كبير ذو أسنان ضخمة، ورجلاه ظلفاء... ولقد سمعت عنه من أستاذنا في مدرسة القرية، إذ كان يخيف الكسالى منّا بإلباسهم قبّوع الشّيطان. والوالدة كانت تُهدّدنا بأنّ من لا يصلّي قبل النّوم، تجرُّه الشّياطين من شعره. وكم شكرت اللّه بأنّ شعري كان دوماً قصيراً ناعماً، وأنّه حباني بأن أكون تلميذاً نشيطاً.

ومع أنّنا كنّا نعلم بأنّ معلّمينا، الآباء اليسوعيّين، يجلدون أجسامهم بمجلدة، كان كلّ واحد منهم يتسلّمها مع الشّحيمة والكتاب المقدّس، ومع العلم، بأنّ الدّروس اللاهوتيّة الّتي لقّنوها تلامذتَهم كانت كافية ووافية، طويلة ومستفاضة، فهم لم يسدُّوا هذا الفراغ عن الشّيطان. فبالنّسبة إلى بعض المعلّمين وغيرهم، هذا الموضوع أكل الدّهر عليه وشرب، ولا يحسن أن يُحصى في عداد الموادّ اللاهوتيّة. وعليه، فإنّ أمر معالجة هذا الموضوع والكتابة فيه أخذ منّي وقتاً غير يسير بين الإقدام والإحجام، فعبرت في صراع مرير لأُقنع ذاتي كي أحمل الموضوع محمل الجدّ.

١- أنظر متّى ٤، ١-١١؛ مرقس ١، ١٢-١٣؛ لوقا ٤، ١-١٣.

ولمّا كان أنّ أكثر من ندوة تلفزيونيّة عُقدت وتُعقد حول هذا الموضوع تضمّ بين المنتدين الطّبيب والطّبيب النّفسيّ، والكاهن اللاهوتيّ والشّيخ العلاّمة، والمبتلين بالأمراض، والمؤمنين بضرر الشّيطان؛ ولمّا كان أنّ عدد المشعوذين يتكاثر مع الأيّام، وإليهم يلجأ العديد من السّاذجين، بل قل من المثقّفين السّاذجين على مختلف فئاتهم، فيستغلّون سذاجتهم ويبتزّون أموالهم، وتكثر التّشكّيات منهم، ويلجأ إلينا أقارب هؤلاء المرضى الذين يتلقّطون بـ «حبال الهوا»، ويتلقّطُ بهم أولئك المشعوذون «وزّات سمينات»، طالبين إلينا أن ننهى أحدهم عن الإتيان بمثل هذه الخزعبلات، رأيت أن أتناول الموضوع علّني أجيب على حاجة، وأغيث مستغيثاً.

إلى ذلك، تذكّرت أنّ أحد أبناء رعيّتي، أتى إليَّ ذات يوم مرعوباً، ودعاني لكي أزوره وأطرد الشّيطان السّاكن في بيته. والعلامة أنّ امرأته كانت تطيل فستاناً لابنتها فوجدت في طيّة من طيّاته كتابة. إذاً، الشّيطان موجود، ويجب طرده.

هذا فستان تطيله أمّ لابنتها، ولكن كم من فستان وشروال عُطِّل، لأن مقصاً لعب به لأخذ قطعة منه تُحرق، ويُبخَّر بها شخص أصابه بالعين صاحب الشّروال أو صاحبة الفستان. والبخور غالباً ما يُحرق لطرد أرواح السّوء في معتقد عدد من المؤمنين. والّذي نضعه منه في بيت الميت إثر الدّفن، فيجب أن تُبخَّر به الغرفة الّتي نازع فيها وأسلم الرّوح لطرد الرّوح الشّرير الّذي أخذ الشّخص من بين أهله. أمّا «إنّ اللّه هو الّذي يحيي وهو الّذي يميت»[٢]، فهذا شيء آخر.

وإلى أخبار الأرواح الشّريرة، هناك أخبار الجنّ. والجنّ هم غالباً جنّيات يلتقينك، ويرقصن لك، ويتغاوين أمامك. والقصص التي كان يتندّر بها أبناء قرانا، والأخبار الّتي كانوا يتفكّهون بها، سيّما في ليالي الشّتاء قبل عهدهم بالتّلفزيون، فهي عديدة ومتنوّعة ومخيفة. فالأولاد الذين كانوا يسمعونها قبل النّوم، إنّما كانوا يوجسون منها خيفة. فتقول الأمّ في الصّباح «يقبرني هالصّبي كلّ اللّيل وهو يتقبّط». وأيضاً أليس أنّ النّساء يتوهّمن ويتناقلن الوهم، بأنّ لكلّ واحدة منهنّ جنّيّة، وأنّ لكلّ امرأة قرينتها؟ وهُنَّ إنّما يرددن شرّها عن الأولاد بأن يلبسنهم تعويذة يسمّينها ثوب القرينة.

٢– قول شعبيّ متداول.

عسانا في هذه العجالة، نساعد المؤمنين على أن ينظروا أكثر إلى المسيح ممّا إلى الشّيطان، إلى المسيح الذي هو القيامة والحياة. في كلّ هذا، إنّما نعتمد على الكتاب المقدّس، ولا سيّما العهد الجديد، والليتورجيّا وتعليم الآباء وتعليم الكنيسة المعاصر.

كما أنّنا نحاول أن نسهم في تبيان ما في مخطوطاتنا المارونيّة، في القسم الثّاني من هذا الكتاب، من غنى روحيّ عمُرت به صدور أجدادنا، وما كان عندهم من همّ واهتمام رعويّ. وهكذا، نحثّ العلماء والبحّاثة على الإنكباب عليها، وعلى استخراج ما فيها من كنوز روحيّة غنيّة.

مضمون الكتاب

لقد سبق وأشرنا بأنّ الكتاب يتألّف من قسمين. فالأوّل، يبتغي أن يهدم حائط الصّمت الّذي يلفّ موضوع وجود الشّيطان والتّقسيم عليه. لقد غدا هذا الموضوع شائكاً اليوم أكثر منه في ما مضى، حيث غزت مجتمعنا الحركات الباطنيّة والغيبيّات والممارسات السّحرية. فاللّجوء إلى هذه الحركات والإيمان بهذه الممارسات، يحملاننا، كرعاة، على أن نكون يقظين حيال الخطر الّذي يتعرّض له مؤمنونا ويحدق بهم، حاثّين كنيستنا على أن تجدّد إيمانَها بالأسلحة الإلهيّة في الصّراع الرّوحي الدّائر بينها وبين الشّيطان، إذ لا يكفي أن نغرق في مياه الشّيع والبدع الشّيطانيّة الآسنة.

وفي القسم الثّاني، نريد أن نبيّن الغنى الطّقسي والعقائديّ الذي يوجد في مخطوطاتنا وكتبنا الطّقسية، والإيمان القويّ بالسّلاح الفعّال ضدّ الشّيطان الذي هو التّقسيم، وعن المكانة الرّفيعة التي كان يحتلّها في كنيستنا.

ويشاء هذا الكتاب أن يعيد إيمان الكنيسة بالتّقسيم ويحييه، وأن يجدّد الإيمان بالأسلحة الّتي سلّمها المسيح لتلاميذه. وباختصار، إنّ الشّيطان موجود، ويفعل فعله في العالم. يجب ألاّ نستهتر به. ولكنّ المسيح قد غلبه بصليبه وقيامته.

والمقسّمون هم الكارزون الحقيقيّون والمبشّرون بانتصار المسيح، وبرحمة الله. لهذا، فإنّ الكثيرين منهم هم مدعوّون للتّسلّح بالشّجاعة في مجابَهة الشّرير الّذي عليهم أن يحاربوه متسلّحين بالصّلاة، مشفقين على المبتَلين، وجادّين في إثر القداسة. فالمقسّم يؤمن مع الكنيسة بأنّ عمل الشّيطان ليس عملاً من المحتّم الوقوع تحت سيطرته، ولا يحمل على قطع الرجاء.

القسم الأوّل

وجود الشّيطان والتّقسيم عليه

الفصل الأوّل
البدع الشّيطانيّة

١- خطر البدع الشّيطانيّة

قال عالم نفسانيّ ملحد: «عندما يبلغ الخداع مبلغاً يصعب شرحه بشريّاً، من ناحيتي أرى فيه عمل الشّيطان». «إذا رأيتم أشنع الخراب الذي تكلّم عنه النبيّ دانيال نازلاً في البيت المقدّس ليفهم القارئ»[1].

فالبدع الشّيطانيّة إنّما تُعرف أحياناً من الأشخاص الّذين بذلوا جهداً قويّاً للخروج منها، وقد كانوا من أعضائها، معرِّضين ذواتِهم للخطر. إنّهم يخرجون منها وقد طبعتهم بطابعها. إنّهم يعيشون تحت تأثيرات شيطانيّة تسبِّب لَهم آلاماً مبرّحة، وهم بحاجة إلى التّقسيم ليتحرّروا منها. أمّا وقد قرّروا الخروج منها، فهم يعيشون في حال من الخوف. في أميركا يقتلون الّذين خرجوا منها، وفي غيرها من البلدان تقيم هذه البدع طقوساً شيطانيّة تضرُّ بأولئك الّذين يغادرونَها في جسومهم ونفوسهم وممتلكاتِهم.

بعض البدع تستعمل موسيقى الرّوك للتّبشير بالعدميّة، ولمحاربة الكنيسة الكاثوليكيّة ولبغضها، هي وكلّ الأنظمة الإجتماعيّة والسّياسيّة. إنّها تعلّم بأنّ كلّ شيء مسموح به، وأنّ الفرد هو إله بذاته.

ويلجأ الشّباب إلى هذه البدع، لأنّ الحياة لا معنى لَها بالنّسبة إليهم. فالأهلون يوفّرون لأولادهم كلّ شيء، ما عدا الإيمان. إنّه الضّجر، إنّه اليأس. فعندما يفقد شعب إيمانه، يستسلم للخرافة، وبنوع خاصّ للباطنيّة. وما يأتيه الشّباب من أعمال غريبة، كالقتل مثلاً، سببه قلّة الإيمان والضّجر.

١- متّى ٢٤، ١٥.

كثيرون يدخلون إلى هذه البدع بدافع الحشريّة، وللقيام باختبارات جديدة، وسعياً لتعلّم أشياء جديدة. يدخلونَها وفي ظنّهم أنّهم سيكتسبون قوى لا يملكها الآخرون. والشّيطان يوفّر لَهم حقّاً ما يبتغونه من ثروة ولذّات ونجاحات. تلك هي التّجارب الّتي خضع لَها يسوع: «أعطيك العالم كلّه إذا سجدت أمامي»[٢].

إنّ البدع الشّيطانيّة تروّج لذاتِها مستعملة كلّ أنواع الدّعايات، ومستخدمة كلّ الوسائل. فتّش على الإنترنت عن كلمة «شيطان» و «بدع شيطانيّة»، وخذ ما أنت بحاجة إليه من معلومات مع كلّ ما يلزم للإتّصال بالمنتمين إليها.

ماذا تفعل الكنيسة أمام انتشار هذا الحدث؟ هذا سؤال طرح على كنيسة الغرب. والجواب عليه إنّما ينطبق على الكنيسة الكاثوليكيّة جمعاء. الجواب على السّؤال هو أنّ الكنيسة، في الواقع، لا تعمل شيئاً. إنّها غائبة، إنّها نائمة. منذ ثلاثماية سنة طلّقت الكنيسة الكاثوليكيّة التّقسيم (ليس الأمر كذلك بالنّسبة إلى الكنيسة الأورثوذكسيّة، وبالنّسبة إلى بعض الشّيع البروتستانتيّة). والكهنة والأساقفة الّذين لم يروا في حياتِهم التّقسيم، والّذين لم يأتوا على ذكره البتّة، ألغوه من الإيمان المسيحيّ الّذي يُلقّن في المدارس الكاثوليكيّة. إنّهم لا يؤمنون أبداً بالوجود الشّخصي للشّيطان.

نعم، الشّيطان هو في كلّ مكان. ويمكنه أن يعمل بكلّ راحة. لأنّ الذين هم أقلّ إزعاجاً بالنّسبة إليه، إنّما هم الكهنة.

٢- تقلّبات في الاعتقاد

مع أنّ الاعتقاد بوجود قوّة فائقة الطّبيعة شرّيرة هو عقيدة تقليديّة في المسيحيّة، فالآراء المتعلّقة بشكل حضور الشّيطان في العالم ودرجة وجوده، كانت مغايرة عبر الأجيال.

ففي العصور الوسيطة كان الخوف من الشّيطان، ومن جهنّم قويًا جداً. ومع هذا، كان الشّيطان عرضة للهزء والسّخرية في المسرحيّات الّتي كانت تُؤدّى على أدراج الكاتدرائيّات والكنائس. ولكنّ الاعتقاد بالشّيطان غدا جماهيريّاً في هذه العصور. والسّحر أُخذ على مأخذ الجدّ، وتزايد الاعتقاد بقوّة الشّيطان.

٢- متّى ٤، ٩.

وفي القرن الثّامن عشر، تفاقمت مشاعرُ اللاّمبالاة بالكنيسة، وتباعد النّاس عنها. واتّجه عدد كبير من المؤمنين نحو الحركات الباطنيّة. وما فعلوا ذلك إلاّ لأنّه ليس من الممكن أن يكون الكثيرون متصوّفين حقيقيّين، على مثال يوحنّا فمّ الذّهب وتريز الكبيرة.

ثمّ ظهر الإيمان، بقوّة، بوجود الشّيطان في القرن التّاسع عشر، ولعب دوراً مهمّاً في الآداب. فالشّيطان قبل السّقوط كان لوسيفُروس، الملاك الأجمل، ملاك النّور؛ ولقد عوقب بغير حقّ. وكانت محاولات لتبريره. فأوريجانوس أيّد وجوده. أمّا مجمع القسطنطينية فأنكره. فالشّيطان هو الّذي انفصل عن الله، وليس هو الله من أرخى به الأيدي. فالله لا يغفر لمن لا يطلب المغفرة.

وفي أيّامنا، يقول المسيحيّون، إنّه من الأجدى أن ننظر أكثر إلى المسيح ممّا إلى الشّيطان عدوّه. إنّهم لعلى حقّ... إذا كان النّظر إلى يسوع يعني التّأمل بمن هو القيامة والحياة. ولكن، أليس أنّنا هكذا نتعاطى سياسة هي أقرب إلى سياسة النّعامة، حيث نفضّل ألاّ نأخذ بعين الاعتبار لماذا أسلم يسوع ذاته، وأن نتجاهل تعليم الصّليب المعبّر.

إنّ موضوع الشّيطان لا تتقبّله عقليّاتنا المعاصرة بسهولة. لذلك، فإنّ معالجته تتطلّب الفطنة، لا تلك الّتي تفضّل الصّمت لتحاشي الصّعوبة، بل الفطنة المسيحيّة الّتي هي إقدام واعتدال... إقدام للتّكلّم على الحقيقة، ولعرض المواقف الإنجيليّة في وجه الشّرّير الّذي يطوف في عالمنا، ويفسد على طريقته بعض الكائنات البشريّة... واعتدال، فلا نحلُّ موضوع الشّيطان محلاً رفيعاً، ولا نمنحه مرتبة غير الّتي يستحقّ.

٣- سوق عالم الباطن[٣]

إنّ العلم الباطنيّ هو علم وفنّ، وقد يكون كذلك. إنّما ما هو مؤكّد هو أنّه تجارة مزدهرة ورابحة.

إنّه تجارة لَها مكاتب استشارة. ويُقدّر عدد هذه المكاتب، في فرنسا، بخمسين ألفاً، وعدد المستشارين من أطبّاء بأربعين ألفاً.

٣- ألفا سنة من المسيحيّة، الكتاب السّابع، صفحة٨٨.

أمّا كلفة الاستشارة فتتعلّق بشهرة المستشار. ولكنّها تتراوح بين مئتين، ومئتين وخمسين فرنكاً. أمّا الزّبائن الّذين لا تتوفّر لديهم المبالغ هذه، وليست لـهم الجرأة الكافية ليطرحوا سؤالاتِهم مواجهة، فبإمكانِهم فعل ذلك بالمراسلة. وكلفة السّؤال الواحد هنا تتراوح بين عشرة فرنكات وخمسة عشر.

إلى هذا، هناك تجارة رائجة للتعويذات وما شاكل. إنّه لمن الصّعب تقدير المبالغ المُثمَّرة في هذا الميدان، نظراً لما هي عليه من السرّية. ولكنّ بعضهم يقدّر بأنّ ميزانيّة عالم الباطن قد تبلغ ثلاثة مليارات فرنك.

وهذا المجال له مجلاّته المتخصّصة. وبعضها يطبع سبعين ألف عدد شهريّاً، والبعض الآخر خمسة عشر ألف عدد شهريّاً. إلى هذا، هناك المؤلّفات التي تنبت كالفطر، ويقال بأنّ عددها يفوق المئة ألف كتاب.

ويقول صاحب مكتبة في باريس، واسمها «الشّيطان وشركاؤه»، بأنّ ٧٠ من الزّبائن أقلّه هم من القراء المنّورين. إنّهم ليسوا من المهمّشين، بل إنّهم في غالبيّتهم من العلماء، والأطبّاء، وعلماء النفس، والمهندسين، والبحّاثة، والأساتذة. إنّهم يفتّشون عمّا يكمّل ثقافتهم المدرسيّة والجامعيّة.

٤- عالم الأبراج[٤]

إنّ عدد الفرنسيّين الّذين يستشيرون المنجّمين هو قليل. ولكنّ استطلاعاً، في سنة ١٩٦٧، يبيّن أنّ ثلثي عدد الّذين تربو أعمارهم على الثّامنة عشرة، أي ما يعادل العشرين مليون شخصاً يقرأون بطريقة منتظمة، أو من وقت إلى وقت «برجك اليوم» في الصّحافة.

٤- ألفا سنة من المسيحيّة، الكتاب السّابع، صفحة ٨٩.

	يقرأون باستمرار أو أحياناً «حظّك اليوم» في الصّحف أو المجلاّت. (النّسبة المئويّة)	إستشاروا منجّماً أقلّه مرّة في حياتهم. (النّسبة المئويّة)	يمتلكون كتاباً واحداً أو أكثر في التّنجيم. (النّسبة المئويّة)
في العموم			
جماعة الرّاشدين	٦٠	٣	٣
الجنس			
الرّجال	٥٠	١.٥	٣
النّساء	٧٠	٤.٥	٣
العمر			
١٨–٢٥ سنة	٧١	١.٥	٣.٥
٢٦–٣٥ سنة	٦٧	٣.٥	٣.٥
٣٦–٤٥ سنة	٦٠	٣	٣
٤٦–٥٥ سنة	٥٧	٤	٢.٥
٥٦–٦٥ سنة	٤٨	٣	٢
فئة المهن الإجتماعيّة			
الإدارات العليا، أرباب العمل	٦٣	٤	٥
الإدارات الوسطى	٦٢	٤	٥
الموظّفون	٦٨	٤	٤.٥
العمّال	٦٣	٢.٥	١.٥
المزارعون	٤٤	١.٥	٠.٥

٥- مقلع ذهب في النّجوم[٥]

عندما يغدو العالم الباطنيّ تجارة

تميل العالمة الباطنيّة إلى البدانة، وهي من أصل بورجوازيّ. صبغت شعرها، ولا شيء يميزّها عن المرأة الفرنسيّة العاديّة. ومع هذا، فإنّ بطاقتها ليست بعاديّة «عالمة باطنيّة ذات شهرة – وسيط روحيّ – تحصل على عنوانها من الصّحف ومن التّلفزيون» (هكذا).

٥– ألفا سنة من المسيحيّة، الكتاب السّابع، صفحة ٩٠: ترجمة لمقالة تصف صلة عالمة باطنيّة بزبونة عندها.

إنّها تستقبل يوميّاً على موعد. وشاهدناها على شاشات السّينما.

حالاً، تنظر إلى زبونتها من رأسها إلى قدميها نظرة ذات معنى.

– «هاك شخصاً قلقاً على مستقبله، وقلقاً جدّاً. هذا ما أُعطِيتُه بكلّ وضوح. (هذه الصّيغة تردّدها العالمة غالباً. ألفعل المجهول يدلّ على المرشد). إجلسي، هل لديك شيء عزيز عليك؟ ساعتك مثلاً هاتِها. لنرَ...»

تجسُّ السّاعة. وتغوص في داخلها متأمّلة.

– «ماذا أرى ؟ إنّي أرى قلقاً على الصحّة... لا تعتصمي بالصّمت أجيبيي: نعم، أم لا. أنا لست الله عزَّ وجلَّ.»

توافقها الزّبونة الرّأي.

– إنّ الأمر يتعلّق بالمعدة. أليس كذلك؟ إذاً الكبد؟ لا! إنّك تحملينني على الاستغراب، مع العلم، أنّ ما أعطيتهُ بكلّ التّأكيد إنّما هو الكبد... إنّي أتساءل إذا ما كنت تُكثرين من أكل الشّوكولا. أهو كذلك؟ إذاً، أرأيتِ؟ لا تكثرين من أكل الحلويّات يا سيّدتي.

– «إنّ أمراً آخر يقلقني. إنّي مصابة بداء المفاصل، وأتساءل: هل أخضع لعمليّة، أم لا؟»

– « هذا ليس مستحيلاً، يا سيّدتي. إنّي أرى فعلاً إمكانيّة الخضوع للعمليّة. ولكن، لا تجزعي. لا شيء يخيف من هذه النّاحية، إنّ عمليّتك ستُكلّل بالنّجاح.

تجيب الزّبونة حالاً: إنّ الأمر يتعلّق بصديقة لي... إنّها تعيش في إسبانيا منذ زمن طويل، إنّها لم تعد تتحمّل أكثر. لَها ثلاثة أولاد، وتريد العودة إلى فرنسا. لكنّ زوجها لا يوافقها الرّأي...

تقاطعها العالمة:

– «كفى كفى سيّدتي. هل أنتِ العالمة أم أنا؟ فكّري فقط بصديقتك. (تركّز بعض الوقت على الكرة البلّوريّة الّتي في يدها). حسناً. إنّي أرى صعوبات عدّة تعترض رجوع صديقتك، صعوبات عدّة. ليس عليها أن تعود بهذه السّرعة. ليس قبل سنتين أقلّه. هل عندك سؤال آخر؟»

– «أريد أن أعرف إذا ما كنت سأتزوّج من جديد».

– «هل أنتِ مطلّقة».

– «لست بعد. هذا حقّاً، قبل أن أقرّر الطّلاق، أريد أن أتأكّد هل سأتزوّج ثانية».

السؤال أحرج العالمة. صمتت برهة. ثمّ قالت بغضب:

– «ألا تفكّرين؟ هذا لا يصدّق. أين عقلُك؟ بإمكانك أن تطلّقي يا سيّدتي، وبإمكانك أن تتزوّجي. إعرفي ذلك جيّداً. ولكن إلى الآن، حاولي ألاّ تعلمي إذا كانت لك الإرادة القويّة والشّجاعة الضّروريّة. ولكن سأساعدك. سأطلب لكِ من مرشدي أن يقيك شرَّ الطّلاق، وسأعطيك صلاة تصلّينها.
إذهبي واعتصمي بالصّبر. تحمّلي مشاكلَك، إنّها الحياة يا سيّدتي. في الحقيقة، إنّك امرأة شجاعة»...

يجب أن تكون المسترشدة على شيء من الغباء حتّى لا ترى الخيط الّذي تخيط به هذه المرشدة الغاشّة. إنّ المرشد ليتمتّع بموهبة طرح الأسئلة على المسترشدين، والحصول منهم على الأجوبة. إنّ الفنّ يقتضي بألاّ يكشف عماّ قدّموه أوّلاً.

إنّ النّفوس المضطّربة تقع تحت تأثيره. إنّ الإرشادات الّتي أعطتها المرشدة ليست سوى نصائح عاديّة حيث لعلم الأخلاق دوره فيها.

قد يُقال ليس في الأمر ضرر. قد يجوز ولكنّ هذا مكلف باهظ، إذ إنّ الجلسة تكلّف مئة فرنك فرنسي، وهذا يقتضي من ثماني إلى عشر جلسات عند اختصاصي كبير. إنّ لفي الأمر استغلالاً وسرقة.

الفصل الثّاني

تعليم الكنيسة

ما هو موقف الكنيسة الحاليّ بالنّسبة إلى الشّيطان والتّقسيم؟

يبدو أنّ الّلاهوتيّين منقسمون حول هذا الموضوع. لهذا، من الأفضل، اللّجوء إلى تعليم الكنيسة الرّسميّ من خلال الوثائق. إنّ أحدث تعليم للكنيسة في هذا الموضوع هو تقرير وضعه إختصاصيّون لمجمع عقيدة الإيمان، سنة ١٩٧٥، تحت عنوان: «الإيمان المسيحيّ وعلم الشّيطان» الّذي يعطي مختصراً وافياً ومهمًّا حول التّعليم الكاثوليكيّ في هذا المجال.

١- الإيمان المسيحيّ وعلم الشّيطان[٦]

تعلّمنا هذه الوثيقة بأنّ الكنيسة قد شجبت دوماً أشكال الخرافات والوساوس الشّيطانيّة والأنواع المتعدّدة لعبادة الشّيطان. فالمسيحيّة آمنت، عبر تاريخها، إيماناً ثابتاً بملك المسيح على الكون. ولم تفكّر يوماً بإعطاء الشّيطان مكانه في وعظها وتبشيرها، ولم تحاول استبدال البشارة الجديدة بالخوف من الشّيطان. لقد كتب القدّيس يوحنّا فم الذّهب إلى مسيحيي إنطاكية قائلاً: «لا نحدّثكم بطيبة خاطر عن الشّيطان، إنّما الظّرف الّذي أنا فيه يوفرّ لي تعليماً لكم فيه إفادة كبيرة». في الواقع، إنّه لغاية في الضّلال أن نفكّر بأنّ تاريخ الخلاص قد بلغ إلى غاياته، ولسنا بعد بحاجة إلى الصّراع الّذي يحدّثنا عنه العهد الجديد ومعلّمو الحياة الرّوحية.

في يومنا الحاضر تتضارب المواقف من هذا التّعليم. بعضهم يعتقد أنّه من المستحيل أن نتّخذ منه موقفاً محدّداً. إنّهم يستندون في ذلك، على أنّ الكتب المقدّسة لا تساعد على

٦- الإيمان المسيحيّ وعلم الشّيطان: مجمع عقيدة الإيمان: ٢٦-٦-١٩٧٥.

إعلان موقف مع وجود الشّيطان أو ضدّه، كما لو أنّ الأمر مُعلَّق في الفضاء. وفي غالب الأحيان، يغلب الشكّ في وجوده. وبعضهم يقولون بأنّ ما من كلمة من كلمات يسوع تبرهن على حقيقة العالم الشّيطانيّ. وحيث يوجد شيء من هذا، فهو انعكاس للأفكار الموجودة في المؤلّفات اليهوديّة، أو أنّها ترجع إلى تقاليد العهد الجديد لا إلى يسوع. ولمّا كان هذا الأمر لا علاقة له ببشارة الإنجيل، ولأنّه لا يقيّد إيماننا، فلنا ملء الحريّة في إهماله.

ويقبل بعض المفكّرين بأقوال الكتاب المقدّس حول الشّياطين، ولكنّهم يزيدون حالاً بأنّ هذه الأقوال هي غير مقبولة اليوم حتّى بالنّسبة إلى المسيحيّين. أخيراً، وبالنّسبة لبعضهم، تبدو فكرة الشّيطان، أنّى كان مصدرها، وكأنّها فقدت أهمّيتها. والتّوقّف عليها لإثباتِها، يحوّل الأفكار عن الله الّذي يستحقّ وحده كلّ اهتمامنا.

بالنّسبة إلى الأوّلين والآخرين، فاسم الشّيطان وإبليس ليس اسماً لأشخاص خرافيّين، فهي لا تُفهم إلاّ بمعنى سلطان الشرّ والخطيئة على البشريّة.

٢- ماذا يقول العهد الجديد؟

أمام مسلّمات كالّتي أوردنا، وللجواب عليها، نتوقّف عند العهد الجديد مستندين إلى شهادته وسلطانه.

أوّلاً، يجب التّشديد على أنّ المسيح كان مستقلاًّ في تفكيره عن كلّ آراء زمانه. ويجب أن نعلم أنّ معاصريه لم يكن لَهم جميعاً معتقد مشترك حول الملائكة والشّياطين.

لقد جاء في أعمال الرّسل أنّ بولس قال أمام المجلس أنّه يُحاكم لأنّه فرّيسيّ يؤمن بقيامة الأموات «فما قال ذلك حتّى وقع الخلاف بين الفرّيسيّين والصّدّوقيين... ذلك بأنّ الصّدّوقيين ينكرون القيامة والملائكة والرّوح، وأمّا الفرّيسيّون فيقرّون بِها جميعاً، فاشتدّ الخلاف»[٧].

وهذا يظهر أنّ التّفكير المعاصر ليسوع حول الملائكة والشّياطين كان منقسماً. إذاً، كيف يمكن أن نزعم بأنّ يسوع كان يطرد الشّياطين ويعطي السّلطان لطردهم؟ وكيف

٧- أعمال ٢٣، ٧-٩.

استطاع كاتبو العهد الجديد أن يتبنّوا أفكار أبناء زمانِهم وممارساتِهم من دون أن يبدُرَ عنهم أي نقد لَها؟ نعم، إنّ يسوع وتلاميذه هم أبناء عصرهم. ولكنّ يسوع، بسبب طبيعته الالَهيّة والوحي الّذي كان ينقله، إنّما كان يرتقي فوق محيطه وزمانه. إنّه ما كان ليتأثّر البتّة بنفوذ أفكار زمانه.

إنّ عظته على الجبل[8] لَتبرهن بأنّه كان حرّ التّفكير مع احترام التّقليد. لقد وجّه تعليمه حول القيامة والشّياطين إلى الفرّيسيّين الّذين كانوا يعتقدون معتقده، وإلى الصدّوقيّين الّذين كانوا لا يشاركونه هذا المعتقد.

لقد تشكّى منه الفرّيسيّون بقولِهم: «إنّه باركون الشّياطين يطرد الشّياطين»[9].

كان بإمكانه أن يتخلّص منهم وممّا ينسبون إليه باعتناقه مُسلّمة الصدّوقيين. ولكنّه، لو فعل، لكان كذّب رسالته وكذّب ذاته. لِهذا، كان عليه إذاً، من دون أن ينكر معتقده بالأرواح والقيامة، وهو معتقد يشارك فيه الفرّيسيّين، أن يتخلّى عن هؤلاء من دون أن يواجه الصدّوقيّين.

إنّ الّذين يعتقدون بأنّ المسيح تأثّر بمعتقدات زمانه يجهلون زمانه، ويجهلون بالأخصّ شخصيّة المعلّم. فإذا كان المسيح قد تكلّم هذه اللّغة وجسّدها أفعالاً، فذلك لاعتقاده بأنّ هذا التّعليم إنّما هو ضروريّ، إن لم يكن كُلّه، فجُلّه، لفكرة الخلاص وحقيقته.

٣- شهادة يسوع

يتّفق دارسو الإنجيل على أنّ يسوع لم يجعل الشّيطان قط محوراً لإنجيله. ولكنّهم يُجمعون على أنّ يسوع يأتي في الانجيل على ذكر الشّيطان مراراً. لقد قبل أوّلاً، أن يُجرَّب منه في البريّة وفي بدء حياته العلنيّة[10]. وهو يحذّر من هذا العدوّ، سواء كان في عظته على الجبل، أو في الصلاة الرّبّية الّتي علّمناها[11]. وفي أمثاله، ينسب إلى الشّيطان الصّعوبات الّتي تعترض تبشيره. وعلى سبيل المثال، الزّؤان النّابت في حقل ربّ

٨- متّى الفصول ٥ و ٦ و ٧.
٩- متّى ٩، ٣٤؛ ١٢، ٢٤.
١٠- متّى ٤، ١-١١؛ مرقس ١، ١٢-١٣؛ لوقا ٤، ١-١٣.
١١- متّى ٦، ١٣.

العائلة[١٢]. ولقد حذّر بطرس، هامة الرّسل، بأنّ الشّيطان «قوّة الجحيم» سيغربله هو والرّسل رفاقه[١٣]. ولمّا غادر العليّة، أعلن المسيح بأنّ مجيء «أمير هذا العالم» هو قريب جدّاً[١٤]. ولمّا قُبض عليه في الجسمانيّة، قال للّذين قبضوا عليه: «تلك ساعتكم! وهذا سلطان الظّلام»[١٥].

إنّ هذه الأقوال والأعمال ليست وليدة الصّدفة، ولا يمكن أن تكون معطيات خرافيّة. فالمسيح لم يكن فريسة الأوهام، بل كان واعياً لأقواله ثابتاً في أعماله. من هنا، نستنتج أنّ الشّيطان الّذي جابَهه يسوع بالتّقسيم، والّذي التقاه في الصّحراء وفي بستان الزّيتون، لا يمكن أن يكون نتيجة قوّة بشريّة، ولا غلطة ثقافة بدائيّة.

٤- تقسيمات يسوع

تقدّم لنا الكتب الرّبّ يسوع كمعلّم، وطبيب، ومقسّم. والمسيح يشير إلى أنّه أتى ليخلّص «أرسل الله ابنه الوحيد ليخلّص العالم[١٦]»، أي ليشفي الإنسان، ويعتقه من كلّ تأثير شرّير.

ويشرح الكتّاب على أنّه يمارس هذه الخدمة وفقاً لعقليّة بشر ذاك الزّمان، الّذين كانوا ينسبون إلى الشّيطان كلّ الأمراض الّتي لا يتمكّنون من شفائها...

لقد تصرّف كمن له سلطان وهو يتوجّه مباشرة إلى الشّيطان: «إخرَس واخرج من هذا الإنسان[١٧]»؛ وقال، ردًّا على زعم الكتبة، إنّ فيه روحاً نجساً: «أنّى للشّيطان أن يطرد الشّيطان؟»[١٨].

١٢- متّى ١٣، ٢٤-٣٠.

١٣- لوقا ٢٢، ٣١.

١٤- يوحنّا ١٤، ٣٠-٣١.

١٥- لوقا ٢٢، ٥٣.

١٦- يوحنّا ٣، ١٦؛ ١ يوحنّا ٤، ٩.

١٧- مرقس ١، ٢٥

١٨- مرقس ٣، ٢٢-٣٠.

وليس عنده أيّ تصرّف سحريّ. إنّ تقسيماته مرتبطة دوماً بتعليم ومقدّمة كعلامات الملكوت الّذي أتى ليدشّنه. إنّه يشرك الإنسان بعمل شفائه، فيعجب من إيمانه، ويطلب إليه أن يصليّ، أو ألاّ يعود إلى الخطيئة[١٩]. إنّه يستقبل من يتعذّب، ويسمع له، ويحدّثه.

عندما يتوجّه إلى الشّيطان، إنّما يتوجّه إلى «روح السّوء»[٢٠] ليخلّص الإنسان منه.

ويحذّر مفسّرو الإنجيل من الاستنتاج السّريع والسّهل بأنّ كلّ «مسكوني» الإنجيل ليسوا سوى مرضى، ومرضى نفس عَجزَ طبّ ذلك الزّمان عن اكتشاف أمراضهم.

في عداد الّذين نعموا بالتّقسيمات الّتي صنعها يسوع يمكننا إحصاء بطرس ويهوذا. فعندما انفرد به بطرس وأخذ يعاتبه، لأنّه قال إنّ ابن الإنسان يجب عليه أن يعاني آلاماً شديدة... وأن يموت، وأن يقوم في ثلاثة أيّام، عندها زجر بطرس، وقال: «سر خلفي، يا شيطان، لأنّ أفكارك ليست أفكار الله، بل أفكار البشر»[٢١]. وعندما أتاه يهوذا في الجسمانيّة واستقبله بهذه الكلمة: «يا صديقي»[٢٢]، تحوّل يهوذا عن هذه الكلمة الّتي كان من شأنِها أن تخلّصه.

٥- تعليم القدّيس بولس

يميّز القدّيس بولس بدقّة بين الشّيطان والخطيئة. فهو لا يوحّد بينهما. فالخطيئة هي عمل شخصيّ يرتكبها الإنسان؛ وهي حال من الشّعور بالذّنب وعمى القلب، يحاول الشّيطان فعلاً أن يوقع البشر فيه.

والرّسول ذاته الّذي «يشعر بشريعة الخطيئة في أعضائه»[٢٣]، ويقرّ بضعفه بدون النّعمة، هو ذاته يدعو إلى الوقوف في وجه الشّيطان، وإلى سحقه تحت الأرجل. ذلك أنّ

١٩- يوحنّا ٥، ١٤.
٢٠- على سبيل المثال لا الحصر: متّى ١٠، ١؛ ١٢، ٤٣؛ مرقس ١، ٢٣ و٢٦-٢٧؛ ٣، ١١ و٣٠؛ ٥، ٢ و٨ و١٢ و١٣.
٢١- مرقس ٨، ٣١-٣٣
٢٢- متّى ٢١/٥٠
٢٣- رومة ٧، ٢٣.

الشّيطان بالنّسبة إليه، هو قوّة شخصيّة، وعدوٌّ يقظ، يتميّز عنّا وعن الخطيئة. إنّه عدّو لدود لملكوت الله، إنّه المجرّب.

٦- يوحنّا والرّؤيا

إنّ صاحب الرّؤيا يحذّر المؤمن من إبليس، «إذ سيلقي بعضكم في السّجن ليمتحنكم»[٢٤]. إنّه تنّين عظيم أشقر. نشبت معركة في السّماء: هو وملائكته من جهة، وميخائيل وملائكته من جهة أخرى، فغُلب الشّيطان وملائكته، وطُردوا من السّماء. والحيّة القديمة، وإبليس أو الشّيطان قد غُلب بدم الحمل، وأُلقي به في الهاوية، وحُجز عليه ليكفّ عن إغواء النّاس. إنّه الفتّان الّذي ستكون آخرته في مستنقع النّار والكبريت حيث يكابد العذاب إلى أبد الدّهور[٢٥].

يدعو يوحنّا الشّيطان سيّد هذا العالم[٢٦]. وهو إبليس الّذي يوسوس لأبنائه، ويدخل فيهم، ويحملهم على ارتكاب الخطيئة. وهم، إذ يفعلون، يريدون بِهذا إتمام شهوات أبيهم. ولكنّ المسيح أنقذ الإنسان، بموته وقيامته، من الشّيطان والخطيئة.

٧- نصوص من العهد الجديد

■ **أوّلاً: الأناجيل**

– يسوع يولي رسله سلطاناً يطردون به الأرواح النّجسة:

متّى ١٠، ١	رسالة الإثنيّ عشر.
مرقس ٦، ٧-١٣	رسالة الإثنيّ عشر.

– يسوع يخلّص ويشفي:

متّى ٨، ١٦-١٧	يسوع يشفي الجموع.
متّى ٩، ٣٢-٣٣	يسوع يشفي أخرساً مسكوناً.

٢٤- رؤيا ٢، ١٠.
٢٥- رؤيا ١٢، ٧-١٨.
٢٦- يوحنّا ١٢، ٣١.

متّى ١٢، ٢٢-٢٣	يسوع يشفي أعمى وأخرساً مسكونين.

- عمل الشّيطان المجرّب:

متّى ١٣، ٤- ١٩	يقتلع الشّيطان الزّرع عن قارعة الطّريق.
لوقا ٢٢، ٣١-٣٢	الشّيطان سيغربل بطرس والرّسل.

- يسوع يخلّص النّسوة:

متّى ١٥، ٢١-٢٨	إبنة الكنعانيّة.
لوقا ١٣، ١٠-١٧	المرأة الّتي جعلها الشّيطان قوساء.

- يسوع يخلّص الأوّلاد:

متّى ١٧، ١٤-٢١	الولد المصاب بالصّرع.
مرقس ٩، ١٤-٢٩	الولد المصاب بالصّرع.
لوقا ٩، ٣٧-٤٢	الولد المصاب بالصّرع.

- يسوع يخلّص الرّجال:

مرقس ١، ٢١-٢٨	الخلاص من روح نجس.
مرقس ٥،١-٢٠	المسكون من الشّيطان «اللّجيون».
لوقا ٤، ٣١-٣٧	الخلاص من روح نجس.
لوقا ٨، ٢٦-٣٩	المسكون من الشّيطان «اللّجيون».

- يسوع يولي تلاميذه السّلطان على الأرواح النّجسة:

لوقا ١٠، ١-٢٠	يسوع يرسل الإثنين والسّبعين.

■ ثانياً: أعمال الرّسل والرّسائل

- الرّسل يمارسون السّلطان الّذي أولاهم يسوع إيّاه:

أعمال ٥، ١٢-١٦	يطردون الأرواح الشّرّيرة.

أعمال ٨ ،٦–٢٤	سمعان السّاحر .
أعمال ١٣، ٥–١٢	بريشوع السّاحر الكذّاب .
أعمال ١٦، ١٦–١٩	جارية يحضرها روح عرّاف.
أعمال ١٩، ١١–١٢	بولس يطرد الشّياطين في أفسس.
أعمال ١٩، ١٣–٢٠	الرّقاة الطوّافون.

– **رسائل القدّيس بولس: الشّيطان موجود وهو يعمل:**

٢ تسالونيقي ٢، ٣–١٧	سرّ الإلحاد.
٢ تسالونيقي ٢، ٣–٦، ١٤–١٥	أخذ الحيطة من الشرّير.
أفسس ٢، ١–٦	سيّد هذا العالم وأعوانه.
أفسس ٦، ١٠–١٣، ١٦	الصّراع مع القوّات الشّيطانيّة.
غلاطية ٤، ٣–٦	العبد غدا ابناً.
غلاطية ٥، ١٩–٢١	أخذ الحيطة من الوثنيّة والسّحر.
قولوسّي ٢، ٨	مستعبد للايديولوجيّات والخرافات.
٢ رومة ١٦، ١٩–٢٠	لا مساومة مع الشرّ.
٢ قورنتس ٦، ١٤–١٨	لا قران مع بليعار.

– **رسالة القدّيس بطرس:**

١ بطر ٥، ٦–٩	كونوا يقظين.

■ **ثالثاً: الرّؤيا**

الفصلان ١٢و١٣	صراع المرأة: مريم والتّنين.

٨- التّقليد الآبائيّ

تخبرنا الكتب بأنّ آباء الكنيسة تناولوا جميعاً موضوع الشّيطان، ولم يخالفه أيّ واحد منهم. فالقدّيس إيريناوس (١٣٠-٢٠٨) علّم أنّ الشّيطان إنّما هو «ملاك جاحد»، والمسيح قد حاربه منذ بدء رسالته. ولقد أظهره القدّيس أغوسطينوس (٣٥٤-٤٣٠)، إذ تحدَّث عنه في «المدينتين»، في صراع بدأه في السّماء حيث الخلائق الأولى الّتي خلقها الله، أي الملائكة، الّذين كان قسم منهم أميناً لربّه، وقسم آخر جاحداً لسيّده.

ولقد رأى الآباء في معظمهم، ومعهم أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤)، أنّ الملائكة سقطوا من مرتبتهم بسبب كبريائهم. إنّهم رغبوا في أن يعلوا فوق مرتبتهم، وأن يُثْبِتوا استقلاليّتهم؛ وبكلمة، أرادوا أن يصبحوا آلِهة. وإلى كبريائهم، يرى القدّيس إيريناوس أنّ جحود الشّيطان بدأ يوم راح يحسد خليقة الله الجديدة، ويدفعها لتقف في وجه باريها. فالتّعليم الآبائيّ لم يحِدْ عن تعليم العهد الجديد، بل كان أميناً له.

٩- شهادة اللّيتورجيّا

إنّ شهادة اللّيتورجيّا لَهي شهادة خاصّة بِها، لأنّها تعبير يجسّد إيماناً مُعاشاً. إنّما لا يمكننا أن نطلب منها جواباً على فضولنا في معرفة طبيعة الشّيطان وأنواعه وقوّاته. يكفيها أن تشدّد على هذا الوجود، وعلى التّهديد الّذي يشكّله الشّيطان بالنّسبة إلى حياة المسيحيّين الرّوحية. هذا هو دورها. ولمّا كانت اللّيتورجيّا مؤسّسة على تعليم العهد الجديد، فهي تذكّر المسيحيّين أنّ حياتَهم هي جهاد، تقوده نعمة المسيح وقوّة الرّوح القدس، ضدّ العالم والجسد والكائنات الشّريرة.

أ- رتبة العماد

فالقدّيس كيرلّس الأورشليميّ (+٣٨٧) يقول في المعموديّة: «ولمّا نزعتم ثيابكم، ومُسحتم من قمّة رؤوسكم إلى أخامص أقدامكم بالزّيت المعزّم... والزّيت المعزِّم يرمز إلى المشاركة في خصب المسيح، ويمسح كلّ أثر لسلطان العدوّ... والزّيت المعزّم يَكْتَسِب، باستدعاء اسم الله والصّلاة، قوّة تطهير تحرق آثار الخطيئة وتطرد جميع قوّات الشرّ غير المنظورة[٢٧]. وفي رتبة العماد، في طقسنا المارونيّ، تعلّمنا الليتورجيّا أنّ الرّوح

٢٧- كيرلّس الأورشليميّ: العظات (العظة ٢٠/٢-٣).

القدس لن يبعث نفس الإنسان إلى الحياة الجديدة، ما لم يمت المُعمّد عن الإنسان القديم، أي ما لم يكفر بالشّيطان والشّر. لهذا، عندما يقدّم طالبَ العماد عرّاباه إلى حوض المعموديّة يكفران باسمه بالشّيطان وقوّاته وتعاليمه: «أكفر بك أيّها الشّيطان، وبجميع ملائكتك، وبجميع جنودك، وبكلّ أبّهتك العالميّة، وبجميع تعاليمك النّجسة والمرذولة، وبكلّ ما هو منك»[٢٨].

ولمّا كانت النّفس، قبل المعموديّة، لا تزال رهينة الرّوح الشّرير، يأمر الكاهن هذا الرّوح باسم الله وقوّته أن يخرج منها لتصبح مسكناً للرّوح القدس، وهذا هو معنى التّقسيم. «أقسّم عليك أيّتها الأبالسة الدّنسة والأرواح النّجسة، ويا جميع جنود العدوّ، باسم الله العزيز... جبّار العالمين... الّذي أقبل إلى خشبة الصّليب والموت كي يخلّص آدم وبنيه من عبوديّة الخطيئة »[٢٩].

ويصلّي الكاهن على المياه ليطرد الشّرير منها ومن طالب العماد، لتصبح حشاء يحلّ فيه الرّوح القدس: «أطرد يا ربّ، قوّة العدوّ المارق من هذا الماء وممّن يعتمد به... وأحلّ فيه قوّة الرّوح القدس»[٣٠].

وفي صلاة من الصّلوات، يطلب الكاهن لطالب العماد القوّة في الجهاد ضدّ الشرّ، ويطلب من الرّبّ أن ينصره في التّجارب[٣١].

ب- رتبة المسحة

وفي صلاة الفتح في رتبة مسحة المرضى، يطلب الكاهن من الرّبّ يسوع الصحّة والشّفاء للمريض، «وأن يطرد عنه كلّ قوّة العدوّ»، وذلك بعد أن يذكّر بأنّ يسوع هو الذي أعطى رسله السّلطان بأن يُخرجوا باسمه الشّياطين[٣٢]. وفي صلاة الختام، يطلب الكاهن من الرّبّ أن يلاشي من المريض «جميع الأرواح الشّريرة السّائدة بين البشر»[٣٣].

٢٨- الرّابطة الكهنوتيّة، دليل المؤمن، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، ١٩٦٦، ص ١٣٠.
٢٩- المرجع نفسه، ص ١٢٨.
٣٠- المرجع نفسه، ص ١٢٦.
٣١- الرابطة الكهنوتيّة، دليل المؤمن، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، ١٩٦٦، ص ١٤٠.
٣٢- المرجع نفسه، ص ١٧١-١٧٢.
٣٣- المرجع نفسه، ص ١٨٢.

ج- صلاة الجنّاز المارونيّ

جنّاز الكهنة

في الصّلاة الّتي تسبق الّلحن الثّاني، تطلب الكنيسة من الرّبّ «أن يصرع ويُسقط العساكر المظلمة الكامنة في الجوّ والأرواح الشّريرة... وأن يطردها من أمام نفس المنتقل.»[٣٤]

جنّاز الرّجال

وفي الصّلاة على المائتين في جنّاز الرّجال، تطلب الكنيسة في صلاة السّدر من الرّبّ يسوع «أن ينجّي نفس المائت من ضبط الأرواح الشّريرة، وأن ينقذها من اغتصاب ذلك العدوّ».[٣٥]

١٠ - إيمان الكنيسة

إنّا لا نجد، عبر تاريخ الكنيسة الطّويل، درساً قائماً في ذاته حول الشّيطان. جلّ ما نجده إنّما يُختصر تحت عناوين ثلاثة، ألا وهي:

- إنّ الشّيطان هو مخلوق من مخلوقات الله.
- والله خلقه ذا طبيعة صالحة.
- والمسيح حرّر الخليقة من عبوديّته.

أ- الشّيطان مخلوق من مخلوقات الله

إنّ هذا التعليم يعود إلى القدّيس بولس الّذي يؤكّد أنّ المسيح القائم من الموت، إنّما يمارس سلطانه على كلّ الخلائق في السّماء وعلى الأرض وفي جهنّم، وفي هذا العالم، وفي العالم الآتي. وهذا ما أثبتته قوانين الإيمان المتعاقبة الّتي تُستخدم أثناء منح سرّ العماد؛ وما علّمه حديثاً التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة: «ولكنّ مقدرة إبليس

٣٤- الجنّاز ....

٣٥- الجنّاز ....

ليست غير متناهية. إنّه مجرّد خليقة، قديرة لكونِها روحاً محضاً، ولكنّه لا يخرج عن كونه خليقة.»[٣٦]

ب- والله خلقه ذا طبيعة صالحة

وهذا ما علّمته الكنيسة منذ القدم. فقد علّمت، في الشّرق وفي الغرب، بأنّ الله خلق الشّيطان صالحاً. فالقدّيس غريغوريوس النّزينـزيّ (٣٣٠-٣٩٠) كان يقول للمتنصّر الجديد «آمِنْ بأنْ لا وجود جوهريّاً للشرّ، ولا مملكة له، ولا كيان له في ذاته، بل خلقه الله». فالشّيطان هو خليقة من خلائق الله صالح، وذو جمال مشرق. ولكنْ، ويا للأسف، لم يبقَ في المرتبة الّتي خُلق فيها. لقد وقف في وجه الله.

وهذا ما كان يظهر أحياناً كإعلان عن عقيدة إيمانيّة، وأحياناً كشجب لعقيدة ورفضها. وتعلّم الكنيسة، في التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، أنّ الشّيطان أو إبليس كان أوّلاً ملاكاً صالحاً من صنع الله. «الشّيطان وسائر الأبالسة خلقهم الله صالحين، ولكنّهم هم بأنفسهم انقلبوا أشراراً»[٣٧].

ج- المسيح حرّر الخليقة من عبوديّة الشّيطان

كلّ مّرة كانت المجامع الكنسيّة تتحدّث عن وضع الإنسان بالنّسبة إلى يسوع، كانت تتكلّم عن تحرير يسوع المسيح الإنسان من عبوديّة الشّيطان، وذلك بانتصاره على الموت وعلى الشّيطان: «أين شوكتك يا موت، وأين غلبتكِ يا جحيم»[٣٨]. فالمجمع التّريدنتينيّ يختصر في هذا المجال تعليم القدّيس بولس، فيعلن «أنّ الإنسان خاطىء، وهو تحت سلطان الشّيطان والموت». ولمّا خلّصنا المسيح، فهو إنّما خلّصنا من سلطان الظّلام، وقادنا إلى مملكة الإبن الحبيب، من به صار لنا الفداء وغفران الخطايا.

وهذا إيمان الكنيسة منذ الأجيال الأولى، إذ إنّ المتنصّرين الجدد كان عليهم أن يكفروا بالشّيطان، وأن يؤمنوا بالثّالوث الأقدس، وأن يتّحدوا بالمسيح مخلّصهم.

٣٦- التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة: ٣٩٥، ١٩٩٢
٣٧- التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة: ٣٩١، ١٩٩٢
٣٨- ١ قور ١٥، ٥٥.

وهذا هو إيمانُها اليوم. فالمجمع الفاتيكانيّ الثّاني يعلّم: «إنّ الله أقام الإنسان في حالة البرارة. غير أنّ الشّرّير أغواه منذ بدء التّاريخ، فأساء استعمال حرّيته واقفاً في وجه الله، راغباً في أن يصل إلى غايته بدونه تعالى[٣٩]». وحياة الإنسان تبدو صراعاً، وكم هو دامٍ، بين الخير والشرّ، بين النّور والظّلمة... والإنسان يكتشف أنّه لا يقدر، من تلقاء ذاته، أنْ ينتصر فعلاً على هجمات الشرّ... لِهذا، أتى الرّبّ نفسه ليعيد إلى الإنسان الحرّية والقوّة، ويجدّده من الدّاخل، ويطرح خارجاً أركون هذا العالم»[٤٠].

والمجمع الفاتيكانيّ الثّاني يأخذ تحذيرات القدّيس بولس إلى أهل أفسس، ويسوقها إلى بشر اليوم، إذ يقول لَهم: «تسلّحوا بسلاح الله لتستطيعوا مقاومة مكايد إبليس»[٤١].

١١- «التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة» ١٩٩٢

إنّ هذا التّعليم هو خلاصة عمل التّجديد الكتابيّ واللّيتورجيّ والآبائيّ، الّذي يصبّ في المجمع الفاتيكانيّ الثّاني. إنّه أمنية مجمع الأساقفة الّذي انعقد عام ١٩٨٥، ونتيجة عمل مكثّف دام ستّ سنوات، تعاون عليه كرادلة وأساقفة. وما انتهى منه العمل إلاّ بعد الوقوف على آراء أساقفة الكنيسة الكاثوليكيّة، وأبحاث عدد كبير من الأختصاصيّين. وقد طبع في رومة عام ١٩٩٢.

إنّ كلّ ما يتعلّق بالشّيطان وعمله، وبالتّقسيم، هو موزّع على امتداد هذا التّعليم. ولكنّ المقطع الأساسيّ نجده في القسم الأوّل الّذي يتضمّن شرح مضمون «قانون الإيمان».

أ- الشّيطان ملاك ساقط

فالله هو «خالق السّماء والأرض»، أي «الكون المرئيّ وغير المرئيّ». «إنّ وجود الكائنات الروحيّة، غير الجسديّة، التي درج الكتاب المقدّس على تسميتها ملائكة، هي حقيقة إيمانيّة. شهادة الكتاب المقدّس واضحة، وكذلك إجماع التّقليد»[٤٢].

٣٩- المجمع الفاتيكانيّ الثّاني، ك ع ١/١٣.
٤٠- المجمع الفاتيكانيّ الثّاني، ك ع ٢/١٣؛ أنظر يوحنّا ١٢/ ٣٦.
٤١- أفسس ٦،١١.
٤٢- التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، عرّبه عن اللاّتينيّة المتروبوليت حبيب باشا والمطران يوحنّا منصور والمطران كيرلّس سليم بسترس والأب حنّا فاخوري، المكتبة البولسيّة، جونية، لبنان، ١٩٩٩، عدد ٣٢٨، ص ١١٧.

بعد ذلك بقليل، يتناول التّعليم مسألة الخلق وسقوط الإنسان. وبهذا الخصوص، يقدّم بالموادّ ٣٩١ – ٣٩٥٤٣ لسقوط الملائكة:

٣٩١– وراء اختيار أبوينا الأوّلين المعصية صوت مغرٍ معارض لله، يحملهما حسداً، على السّقوط في الموت. الكتاب المقدّس وتقليد الكنيسة يريان في هذا الكائن ملاكاً ساقطاً يُدعى شيطاناً، أو إبليس. الكنيسة تعلّم أنّه كان أوّلاً ملاكاً صالحاً من صنع الله. «الشّيطان وسائر الأبالسة خلقهم الله صالحين في طبيعتهم، ولكنّهم هم بأنفسهم انقلبوا أشراراً».

٣٩٢– الكتاب المقدّس يذكر لهؤلاء الملائكة خطيئة. وهذا «السّقوط» يقوم باختيار حرّ لهؤلاء الأرواح المخلوقة، الّذين رفضوا رفضاً باتّاً وثابتاً الله وملكوته. وإنّنا نجد إشارة إلى هذا العصيان في أقوال المجرّب لأبوَينا الأوّلين: «يصيران كآلِهة» (تك٣،٥). الشّيطان «خاطئ من البدء» (١ يو ٣،٨)، «أبو الكذب» (يو ٨،٤٤).

٣٩٣– إنّ ميزة الاختيار الثّابت للملائكة، لا تقصيرٌ من الرّحمة الإلَهيّة غير المتناهية، هي الّتي جعلت خطيئتهم غير قابلة الغفران. «لا ندامة لَهم بعد السّقوط، كما أنّه لا ندامة للشرّ بعد الموت».

ب- أعمال الشّيطان

٣٩٤– الكتاب المقدّس يثبت الأثر المشؤوم للّذي يدعوه يسوع «من البدء قتّال النّاس» (يو٨،٤٤)، والّذي حاول أن يحوّل يسوع نفسه عن الرّسالة الّتي تقبّلها من الآب. «ولهذا، ظهر ابن الله لينتقضَ أعمال إبليس» (١يو ٣،٨). وأفظع نتائج أعماله كان الإغراء الكاذب الّذي جرّ الإنسان إلى عصيان الله.

٣٩٥– ولكنّ مقدرة إبليس ليست غير متناهية. إنّه مجرّد خليقة، قديرة لكونِها روحاً محضاً، ولكنّه لا يخرج عن كونه خليقة: لا يستطيع أن يمنع بناء ملكوت الله. وإنْ عَمِلَ إبليسُ في العالم بعامل الحقد على الله وملكوته في يسوع المسيح، وإنْ كان لعمله أضرارٌ جسيمة – على المستوى الرّوحيّ، وأحياناً، وبطريقة غير مباشرة، على المستوى الطّبيعي نفسه – لكلّ إنسان وللمجتمع؛ فهذا العمل

تسمح به العناية الإلَهيّة الّتي توجّه تاريخ الإنسان والعالم بقوّة ولين. والسّماح الإلَهيّ بِهذا العمل الشّيطانيّ سرٌّ عظيم، ولكنّنا «نعلم أنّ الله في كلّ شيء يسعى لخير الّذين يحبُّونه» (رو ٨،٢٨).

وعندما يأتي التّعليم على ذكر أسرار المسيح، يعود أكثر من مرّة ويذكر الشّيطان أو إبليس في ما يتعلّق بالتّجربة في البرّية (الأعداد ٥٣٨-٥٤٠)[٤٤]، وبطرده الشّياطين (العددان ٥١٧ و٥٥٠)[٤٥] والنّزول إلى الجحيم (عدد ٦٣٥)[٤٦]. وفي كلّ مرّة يشدّد التّعليم على أنّ يسوع انتصر على المجرِّب ليخلّصنا من التّأثير الّذي يمارسُهُ علينا ليقودنا إلى العصيان والموت.

ج- صلاة التّقسيم تطرد الشّيطان

في القسم الثّاني الّذي يتعلّق باللّيتورجيّا يأتي التّعليم على ذكر صلاة التّقسيم. فالمسيح يخلّصنا من سلطان الشّيطان والموت (عدد ١٠٨٦)[٤٧]، ومن سلطان الشّيطان والخطيئة (عدد ١٧٠٨)[٤٨]، وهذا انطلاقاً من تقسيمات العماد:

١٢٣٧- نظراً إلى أنّ المعموديّة تؤدّي معنى الإنعتاق من الخطيئة ومن المحرِّض عليها أي الشّيطان، تتلى بعض التّقاسيم على المرشّح للمعموديّة، ويمسح بزيت الموعوظين، أو يضع المحتفل يده عليه، ويكفر صراحة بالشّيطان. فمع هذا الإستعداد، يمكنه أن يعترف بإيمان الكنيسة الّتي «يوكل إليها بالمعموديّة».[٤٩]

في العدد ١٦٧٣ يحدّد التّعليم التّقسيم بطريقة مختصرة على أنّه شبه سرّ من أشباه الأسرار، ويحصيه في فئة التّبريكات:

٤٣- المرجع نفسه، الأعداد ٣٩١-٣٩٥، ص ١٣٣-١٣٤.
٤٤- التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّ،ص ١٧٤-١٧٥.
٤٥- المرجع نفسه ص ١٦٨ و١٧٨.
٤٦- المرجع نفسه ص ٢١٦-٢١٧.
٤٧- المرجع نفسه ص ٣٣٩.
٤٨- المرجع نفسه ص ٥١٤.
٤٩- المرجع نفسه ص ٣٨١.

١٦٧٣- «عندما تلتمس الكنيسة علناً وبقوّة السّلطة، باسم يسوع المسيح، حماية الأشخاص أو الأشياء من قبضة المحتال ونفوذه، فهي تمارس ما يُسمّى «بالتّعزيم» وقد مارسه يسوع، ومنه تستمدُّ الكنيسة القدرة على التّعزيم ومهمّة القيام به... وأماّ التّعزيم الإحتفاليّ أو «التّعزيم الكبير» فلا يقوم به إلاّ كاهن بترخيص من الأسقف، ولا بدّ من أدائه بفطنة، وبالتّقيّد بالقواعد الّتي تضعها الكنيسة. ويهدف «التّعزيم»إلى طرد الشّياطين، أو إعتاق النّفس من استحواذ الشّيطان، وذلك بالسّلطة الرّوحية الّتي وكلها يسوع إلى كنيسته. ولكنّ الفرق كبير بين الاستحواذ الشّيطانيّ والحالات المرضيّة، ولا سيّما الأمراض النّفسانيّة الّتي يعود علاجها إلى العالم الطبّي. من الأهميّة إذاً بمكان، أن نميّز، قبل التّعزيم، بين الاستحواذ الشّيطانيّ وحالة المرض.»[٥٠]

على ما يبدو، إنّها المرّة الأوّلى الّتي فيها يُمثّل التّقسيم علناً، أقلّه «التّقسيم الكبير»، بشبه سرّ، وذلك في وثيقة كنسيّة رسميّة. إنّ الأمر ليتعلّق بعمل رسميّ تمارس به الكنيسة سلطتها الرّوحيّة التي سلّمها إيّاها يسوع لطرد الشّياطين، وللتّحرير من الاستحواذ الشّيطانيّ. هذا يفترض أنّ الكاهن يعمل «محافظاً بدقّة» على القواعد الّتي وضعتها الكنيسة. إنّ الأمر ليختلف، عندما يتعلّق الأمر بصلاة الإعتاق، الّتي ليست سوى صلاة خاصّة، لا تلزم سلطة الكنيسة. إنّها مسعى إيمانيّ بسيط من قبل الشّخص الّذي يصلّي، إمّا بطريقة عفويّة وإمّا باستخدامه صيغة صلاة معترف بها من الكنيسة وتحثُّ عليها. وعلى سبيل المثال صلاة «التّقسيم الصّغير» للبابا لاوون الثّالث عشر الّتي استُعملت لغاية ٢٩ أيلول ١٩٨٥، والّتي منع فيها مجمع عقيدة الإيمان العلمانيّين من استعمالِها.

د- تحظير السّحر والعَرافة

في القسم الثّالث من «الحياة في المسيح» يحذّر التّعليم، وبصرامة، من ممارسات تخطّتها الأحداث في مدنيّة تتّسم بالعقلانيّة العلميّة والتّقنيّة. ومع هذا، إنّها حاضرة الآن، وهي خطرة وتحظى بشعبيّة قويّة تغذّيها وسائل الإعلام على أشكالِها. فعبادة الأوثان مثلاً لا تقوم فقط على عبادة أوثان من حجر أو معدن، بل «على تأليه من ليس

٥٠- المرجع نفسه ص ٤٩٧.

الله» – على سبيل المثال آلِهة الوثنيّين قديماً، وعبادة الشّياطين الشّائعة في أيّامنا – أو أيضاً الايديولجيّات المعاصرة المتعلّقة بالسّلطة أو باللّذة أو بالعرق، أو بالأجداد، أو بالدّولة، أو بالمال (عدد٢١١٣)[٥١]. وتدخل في عداد الوثنيّة كلّ أشكال العرافة الّتي تفترض أنّها تكشف المستقبل وهي على خطأ، ومستطلعو الأبراج، والمنجّمون، وقارئو الكفّ، وكلّ أشكال «التّبصير»، واللّجوء إلى الوسطاء، ومناجاة الأرواح،... (عدد ٢١١٥و٢١١٦)[٥٢]. وأخيراً، هناك «جميع ممارسات السّحر والعرافة الّتي يُزْعَمُ بها ترويض القوى الخفيّة لجعلها في خدمة الإنسان، والحصول على سلطة فائقة الطّبيعة على القريب» (عدد ٢١١٧)[٥٣].

٥- انتصار المسيح والكنيسة على الشّيطان

في القسم الرابع من التعليم «الصلاة المسيحيّة» يُشرحُ الطَّلَبُ الأخير هكذا:

٢٨٥٠– الطّلب الأخير إلى أبينا موجود أيضاً في صلاة يسوع: «لا أطلب أن تُخرجهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرّ»[٥٤]. إنّه يعنينا، يعني كلّ واحد شخصيّاً، ولكنّنا «نحن» دائماً من يصلّون، بالإشتراك مع كلّ الكنيسة، ولأجل خلاص كلّ الأسرة البشريّة. وما زالت صلاة الرّبّ تجعلنا ننفتح على أبعاد تدبير الخلاص. وينقلب تعلُّقنا بعضنا ببعض في مأساة الخطيئة والموت تضامناً في جسد المسيح، «وشركة قدّيسين».

٢٨٥١– في هذا الطّلب، الشرُّ ليس شيئاً مجرّداً، بل هو يدلُّ على شخص: الشّيطان، الشّرّير، الملاك الّذي يقاوم الله. إبليس (في اليونانيّة ذيافولسُ) يعني من «يُلقي بذاته ليُعيق» قصد الله و «عمله الخلاصيّ» الذي أتمّه في المسيح.

٢٨٥٣– لقد تمّ الإنتصار على «رئيس هذا العالم» مرّة واحدة، في السّاعة الّتي أسلم فيها يسوع ذاته بحرّية إلى الموت، ليعطينا حياته. إنّها دينونة هذا العالم،

٥١– المرجع نفسه ص ٦٦١.

٥٢– المرجع نفسه ص ٦٦١.

٥٣– المرجع نفسه ص ٦١٢.

٥٤– يوحنّا ١٧، ١٥.

ورئيس هذا العالم «يلقى خارجاً». «إنّه يلحق بالمرأة[٥٥]، ولكنْ لا سلطان له عليها: فحوّاء الجديدة، «الممتلئة نعمة» من الرّوح القدس، قد حُفظت من الخطيئة ومن فساد الموت (الحبل الطّاهر بوالدة الإله الفائقة القداسة مريم الدّائمة البتوليّة، وانتقالها). فغضب على المرأة وذهب ليحارب باقي نسلها»[٥٦]، لذلك يصلّي الرّوح والكنيسة: «هلمّ، أيّها الرّبّ يسوع»[٥٧]، بما أنّ مجيئه ينقذنا من الشّرّير.

٢٨٥٤– عندما نطلب النّجاة من الشّرّير، نصلّي أيضاً للتّحرّر من كلّ الشّرور الحاضرة والماضية والمستقبلة، التي هو صاحبها أو الدّافع إليها. وفي هذا الطّلب الأخير تحمل الكنيسة إلى أمام الآب كلّ بؤس العالم. وهي تلتمس، مع الخلاص من الشّرور الّتي تصقل البشريّة، عطيّة السّلام النّفيسة، ونعمة الانتظار الثّابت لمجيء المسيح. وهي إذ تصلّي هكذا، تسبق في تواضع الإيمان استعادة كلّ البشر وكلّ شيء في من «بيده مفاتيح الموت والجحيم»[٥٨]، «الكائن، والذي كان، والذي يأتي، القدير»[٥٩].

«نجّنا من كلّ شرّ أيّها الرّبّ، وامنح السّلام لزماننا، وبرحمتك حرِّرنا من الخطيئة، وشدّدنا إزاء المحن في هذه الحياة حيث نرجو السّعادة التي وعدت بها ومجيء يسوع المسيح مخلّصنا»[٦٠].

١٢- إيمان الكنيسة هو هو

إنّ موقف الكنيسة بالنّسبة إلى الشّيطان هو واضح وثابت. في الحقيقة، إنّ وجود الشّيطان عبر الأجيال، لم يؤلّف موضوع إثبات من الكنيسة المعلّمة؛ ذاك أنّ المؤمنين والهراطقة على السّواء، يوافقون على وجود الشّياطين، وعلى أعمالِهم السّيئة. وإذا ما

٥٥– رؤيا ١٢، ١٣.
٥٦– رؤيا ١٢، ١٧.
٥٧– رؤيا ١٢، ١٧ و ٢٠.
٥٨– رؤيا ١، ١٨.
٥٩– رؤيا ١، ٨.
٦٠– المرجع نفسه ص ٨٠٠–٨٠١.

عرض الشّك وحلّ حول حقيقة الشّيطان، يجب الرّجوع إلى إيمان الكنيسة الثّابت والشّامل، وإلى ينبوع هذا الإيمان، أي إلى تعليم السّيد المسيح حول هذا الموضوع. فالبابا بولس السّادس يثبّت بسلطانه، وهو يتكلّم على هذه «الحقيقة المرعبة، السّرية والخفيّة» بأنّ من يرفض الإعتراف بوجودها، أو يجعل منها مبدأً موجوداً بذاته، وأنّ الله ليس مبدأها كخليقة، أو أنّها حقيقة وهميّة، أو شخص تصوّريّ وخياليّ، إنّما يخرج على إطار التّعليم الكتابيّ والكنسيّ.

فالكنيسة تريد أن تبقى أمينة للإنجيل ومقتضياته. ومن الواضح أنّها ما سمحت أبداً أن يُحِلّ الإنسان ذاته من مسؤوليّته، وذلك بأن يردّ خطاياه إلى الشّيطان. فالكنيسة تأخذ كلام القدّيس يوحنّا فم الذّهب لتردّ على هذا التّفكير حيث يقول: «ليس الشّيطان من يسبّب ما يشكو منه الإنسان من سقطات وتعاسات، بل هو تَهاونه». إنّ الكنيسة تريد أن تعلّمنا، بأنّ قوّة الشّيطان محدودة، ولا يمكنها أن تتخطّى الحدود الّتي رسمها الله لها. إنّها تؤكّد أنّ بإمكان الشّيطان أنْ يجرّبنا، ولكنّه لا يسلبنا رضانا وموافقتنا. يقول أحد الفلاسفة: إنّ المجازفة الكبرى لله هو أنّه أوجد خليقة، الإنسان، بإمكانِها أن تقف بوجهه وتقول له: لا. فإذا كان الإنسان يمكنه أن يجابه الله، أفلا يجابه الشّيطان؟ فالإيمان بقوّة الله هو سلاحنا للإنتصار على الشرّ.

لقد أُعطينا حقيقة، على كلّ مسيحيّ أن يحفظها في قلبه، ألا وهي أنّه توجد أرواح خالصة، خلقها الله، وهي في الأصل كلّها صالحة. ولكنّهم، في ما بعد، بالاختيار أمام الخطيئة، انقسموا، بطريقة لا يمكن تلافيها، إلى ملائكة نور وملائكة ظلام. ومنذئذ يتطلّب منّا وجود الملائكة الأشرار يقظة حتّى لا نقع فريسة لغواياتِهم. وإنّنا لعلى يقين بأنّ قوّة المسيح المخلّص الغالبة تحيق بحياتنا حتّى نتغلّب عليهم. في هذا تساعدنا فعلاً الأرواح الصّالحة، رسل محبّة الله.

١٣- تعليم يوحنّا بولس الثّاني

لقد استعاد يوحنّا بولس الثّاني، في تعليمه، نَهار كلّ أربعاء صباحاً في شرحه «للنّؤمن»، تعليم وثيقة العقيدة والإيمان: «الإيمان المسيحيّ وعلم الشّيطان»، مضفياً على الموضوع وجهة نظر أكثر وضوحاً. لقد قال قداسته:

«يخبر الإنجيليّ لوقا بأنّ التّلاميذ رجعوا فرحين إلى معلّمهم بسبب الثّمار الّتي جنوها من رسالتهم التبشيريّة، قال لهم: «كنت أرى الشّيطان يهوي من السّماء مثل البرق»[٦١]. تثبت هذه الكلمات بأنّ التّبشير بملكوت الله هو دوماً انتصار على الشّيطان؛ فمن ناحية، يدلّ الرّبّ بكلماته، في الوقت عينه، بأنّ بناء الملكوت هو عرضة دوماً لمكايد الشرّير، الشّيء الّذي يتطلّب من الكنيسة استعداداً دائماً للصّراع، وعلى مدى تاريخ الخلاص؛ ومن ناحية ثانية، إنّ هذا ليلقي أضواءً على إيمان الكنيسة في وجه الذين يشوّهونه. فهم إمّا ينالون بإعطائهم الشّيطان أهميّة كبرى، وإماّ ينكرون له قوّته الشرّيرة أو يمسخونَها.

تحدّثنا الكنيسة، في تعاليمها، عن هبوط الشّيطان؛ هبوط نتج عن رفض لله ولملكوته وعن تَهديد وبلبلة لتدبيره الخلاصيّ. وإنّ هذا يظهر من خلال الكلمات الّتي قالَها الشّيطان لأبوينا الأوّلين: «تصيران كآلهة»[٦٢]. وهكذا يحاول روح الشرّ أن يزرع في قلب الإنسان روح التمرّد على الله، هذا الّذي غدا هدف كلّ وجود إنسانيّ.

بهذا المعنى يقول الإنجيليّ يوحنّا: الشّيطان خاطىء منذ البدء... ومنذ البدء كان مهلكاً للنّاس، «ولم »بت على الحقّ لأنّ ليس فيه شيء من الحقّ »[٦٣].

بفعل خطيئة أبوينا الأوّلين، استولى الملاك السّاقط على الإنسان. ويعمّم الكتاب المقدّس، فيقول: إنّ الشّيطان وأعوانه قد أخضعوا لَهم العالم كلّه. «ولنتذكّر مثل يسوع حول الحقل وزراعة الزّؤان بين القمح»[٦٤].

ويذكّر قداسته، في تعاليمه، بالحثّ على اليقظة والصّوم والصّلاة، «وأنّه لا يمكن طرد هذا النّوع من الشّياطين إلاّ بالصّوم والصّلاة»[٦٥]. ويقوم عمل الشّيطان على أن يحمل البشر على عمل الشرّ، وبأن يؤثّر على مخيّلتهم وعلى قواهم العقليّة فيحوّلـها في اتّجاه معاكس لشريعة الله.

٦١- لوقا ١٠، ١٨.
٦٢- تكوين ٣، ٥.
٦٣- يوحنّا ٨،٤٤.
٦٤- متّى ١٣، ٢٤-٣٠.
٦٥- مرقس ٩، ٢٩.

وفي بعض الحالات يحاول روح الشرّ أن يؤثّر على الأشياء المادّية وعلى جسد المؤمن. والكنيسة لا تنفي إرادة الشرّير في أن يضرّ الإنسان في جسده وممتلكاته.

ويلمح البابا في تعليمه، إستناداً على ما يقول الرّسول يوحنّا في إنجيله، على حضور الشّيطان في تاريخ البشريّة. هذا الحضور الذي يتنامى بقدر ما يبعد الإنسان عن الله، وتبتعد البشريّة عنه.

في العالم صراع بين عالم الظّلمة وعالم النّور. ولكنّ المسيح انتصر، وينتصر دوماً على قوى الظّلام.

فالكنيسة، يقول البابا، تعلّمنا أنّ قوّة الشّيطان ليست قوّة لا متناهية. فالشّيطان يبقى خليقة محدودة، خاضعاً لإرادة الله وسلطانه. وإذا اشتغل الشّيطان بحقده ضدّ الله وملكه، فهذا ما يسمح به الله الّذي بقوّته وصلاحه يقود تاريخ الإنسان والعالم. قد يتوصّل الشّيطان إلى أن يؤذي الإنسان والمجتمع، ولكنْ ليس في إستطاعته أن يلغي الخير، الهدف الأخير الّذي يتّجه إليه الإنسان والخليقة كلّها. إنّه لا يمكنه أن يشكّل مانعاً يحول دون بناء ملكوت الله الّذي تسوده العدالة ومحبّة الآب في الإبن الكلمة يسوع المسيح.

هكذا يقول البابا: يمكننا أن نتطلّع إلى تاريخ البشريّة كلّه بالنّسبة إلى انتصار المسيح على الرّوح الشرّير: «للرّب الإله تخضع، وإيّاه وحده تعبد»[٦٦]. وللّذين قالوا عنه إنّه بعل زبول، أركون الشّياطين، لهذا فإنّه يملك القوّة لطرد الشّياطين، أجابهم يسوع قائلاً: «كلّ مملكة تنقسم على ذاتها تسقط». فإنْ كان الشّيطان يطرد الشّيطان، فقد انقسم. فكيف تثبت مملكته؟ وإنْ كنت ببعل زبول أطرد الشّياطين، فبمن يطرده أبناؤكم؟»[٦٧] فالكلمات الّتي قالها يسوع عن المجرّب تجد تحقيقها التّاريخيّ في صليب الفادي وقيامته. وهذا ما نقرأه في الرّسالة إلى العبرانيّين الّتي تقول: «إنّ المسيح شارك البشريّة في كلّ شيء حتّى الصّليب ليقضي بموته على ذاك الذي يقدر أن يميت، أعني إبليس، ويعتق الّذين ظلّوا طوال حياتهم في العبوديّة مخافة الموت»[٦٨].

٦٦– تثنية ٦، ١٣؛ متّى ٤، ١١.

٦٧– متّى ١٢/ ٢٤–٢٧.

٦٨– عبرانيّون ٢/ ١٤–١٥

وينهي قداسته تعليمه هذا، بأنّه يجدر بكلّ مسيحيّ أن يحفظ في قلبه أنّ الله خلق في البدء أرواحاً خالصة، كلّهم صالحون. ولكنّهم انقسموا أمام الخطيئة باختيارهم، إلى ملائكة نور وملائكة ظلام. ووجود ملائكة الظلام يتطلّب منّا اليقظة حتّى لا نقع في غواياتهم، ونحن على يقين بأنّنا سننتصر عليهم بقوّة يسوع الفادي. في ذلك يعضدنا الملائكة الصّالحون، رسل محبّة الله.

الفصل الثّالث

السّحر والشّيطانيّة

■ أوّلاً: السّحر والشّيطانيّة في رسالة راعويّة لأساقفة توسكانا ١٩٩٤

هذا عنوان «رسالة راعويّة لأساقفة توسكانا» صادرة بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٩٤[١]. لهذا العنوان دلالة على الموضوع الّذي تتناوله هذه الرّسالة، والّذي له علاقة بمضمون كتابنا. نأخذ من هذه الرّسالة المقاطع الّتي تَهمّنا، والّتي تنير جوانب مهمّة من المادّة الّتي نعالج. وهذا ما نقلناه منها عن الفرنسيّة.

١- أنواع الامتلاك الشّيطانيّ وموقف الكنيسة منها

عدد ١٤- يقول مجمع أساقفة توسكانا في العدد ١٤ من الرّسالة الرّاعويّة «السّحر والشّيطانية»، في ما يخصّ عمل الشّيطان والامتلاك، ما يلي: «أن يكون أحدهم خاضعاً لقوى الشرّ ولقوّة الشّيطان لَهو مُسلَّمة مثبّتة بالإختبار وبوعي الكنيسة الإيمانيّ». يجب التّذكير بأنّ بإمكان الشّيطان أن يتدخّل في حياة الإنسان على مستويين: إمّا بفعل عاديّ، بتجربة الإنسان كي يعمل الشرّ (فالمسيح عينه قد قبل أن يتجرّب) وهذا ما يعني المؤمنين كلّهم؛ وإمّا بفعل غير عاديّ، يسمح به الله في بعض حالات لأسباب يعرفها هو وحده. هذا الفعل الثّاني يتجلّىّ بأشكال متنوّعة:

- إضطّرابات جسديّة أو خارجيّة، كما تبيّن من بعض ظواهر حدثت في حياة القدّيسين، أو أضرار تلحق في البيوت والممتلكات والحيوانات.

١- "Magie et demonologie" lettre pastorale des evêques de Toscane, 15 avril 1994. Texte français dans la documentation catholique n°2104 du 20 novembre 1994.

- هواجس شخصيّة، أعني أفكاراً ونزوات توصل إلى حالة من انحطاط قوى وقطع رجاء ومحاولة انتحار.

- مضايقات شيطانيّة تقوم باضطّرابات وأمراض ينتج عنها ضياع الذّاكرة والقيام بأعمال شائنة، أو التّلفظ بكلمات حقد ضدّ الله ويسوع والإنجيل والعذراء والقدّيسين.

- إمتلاك شيطانيّ، أي أن يمتلك الشّيطان إنساناً فيحمله على أن يتحرّك ويتكلّم كما يريد من دون أيّ مقاومة من قبل الضّحيّة. وهذه الحالة هي الأشدّ سوءاً.

يتكلّم الإنجيل عن إمكانيّة الحضور الشّيطانيّ في الإنسان. فالشّخص الّذي هو الضّحيّة يغدو «كبيت» احتلّه العدّو[2]. ويصف لنا الإنجيل مداخلات تحرير قام بها يسوع. وإنْ كان من الصّعب تفسيرها، لا يمكننا أنْ نفكّر أنّ مداخلات مشابهة يجب أن تُفهم، كلّها ودوماً، كجواب على أوضاع انقسام نفسيّ أو هستيريا. كما أنّه ليس بإمكاننا أن نقبل بأنّ صيغة «المُخَاطَب» الّتي يستعملها يسوع في تقسيماته، مثلاً في: لو (٤،٣٥؛ ٨، ٣٠، ٣٣-٣٣)، هي تعبيرٌ مجرّدٌ لا يدلّ على شيء. من ناحية أخرى، يجب أن نأخذ دوماً بعين الاعتبار أنّ يسوع يتدخّل، ليس فقط عندما يتعلّق الأمر بامتلاك طبيعيّ، بل أيضاً بامتلاك أدبيّ.

إنّ أشكال التّأثير الشّيطانيّ، وإن تكن سرّية، لا يمكن أن تُفسَّر فقط كحالات ذات أساس مرضيّ. يجب أن تقبل تقييماً لاهوتيّاً بمقدار ما تظهر وكأنّها تضادّ مشروع الله الخلاصيّ لمخلوقاته.

إنّ الشّخص البشريّ المخلوق على صورة الخالق ومثاله، والّذي افتداه المسيح، هو مدعوّ إلى الشّركة مع الله وإلى التطبّع بحياته الثّالوثيّة. وهذه هي فعاليّة نعمة العماد وعطيّة الرّوح القدس الّتي يسبغها على قلوبنا. إنّ عمل الشّيطان، تحت أشكاله المتنوّعة، ليقف في وجه دعوة الإنسان الخلاصيّة ودعوته إلى حياة الله. والكنيسة أيضاً، لا يمكنها أن تقف موقف لا مبالاة أمام حالات كهذه. إنّها لتشعر بأنّها مخوّلة بأن تتدخّل.

٢- متّى ٣، ٢٢-٢٧.

والكنيسة، لأنّها سرّ خلاص المسيح، تعرف أنّها قبلت تفويضاً لتقف في وجه كلّ شكل من أشكال الشرّ، وكلّ قوّة شرّيرة تحاول أن تقود الإنسان إلى الضّلال، والّتي تحول دون تحقيق فداء المسيح في حياة المؤمنين. وإن كان صعباً وضعُ حدود بين الحالات الذُهَانيّة والحالات ذات التّأثير الشّيطانيّ الفعليّ، فالكنيسة لا تستطيع، في أيّة حالة، أن تقلّل من خطورة ألم المؤمنين الّذين يشعرون بأنّهم ضحايا مثل هذه الأفعال. كما أنّه لا يمكنها أن تتوقّف عند إدانات عامّة وسريعة.

«الكنيسة تفقه ألم هؤلاء الإخوة والأخوات، وتعمل جهدها أن تأخذ – بشخص خدّامها – موقفاً من التّفهّم البشريّ والمساعدة الإنسانيّة، وموقفاً حذراً من كلّ مغالاة عقلانيّة ولامبالاة، ومن كلّ شكل من أشكال المغالاة الإيمانيّة والتّصديق السّاذج».

٢- الامتلاك الجسديّ والانتصار على التّجربة

عدد ١٥ – «علينا أن نبيّن أنّ فعل الشّيطان، حتّى في الشّكل الأخطر الّذي هو الإمتلاك، لا يمكن أن يتعلّق بامتلاك النّفس، بل باستخدام الجسد فقط كما يدلّ عليه القدّيس توما، معبّراً في هذا عن وضع التفكير اللاّهوتيّ التّقليديّ». «فبسبب لطافتهم وروحانيّتهم، يستطيع الشّياطين أن يدخلوا في الأجساد ويسكنوا فيها. وبسبب قوّتهم يمكنهم أن يحرّكوها ويخضّوها». إذاً، إنّ الشّياطين، بفضل دقّتِهم وقوّتِهم، يمكنهم أن يدخلوا جسد الإنسان وأن يعذّبوه، إلاّ إذا حال دون عملهم سلطان سامٍ. وهذا ما يسمّى امتلاكاً، محاصرة...

ولكن، من دون الدّخول إلى الصّميم من النّفس، فهذا إنّما هو محفوظ للجوهر الإلَهي. «أمّا الدّوافع الّتي لأجلها يسمح الله بالامتلاك، فبإمكاننا أن نسمّي بعضها، من دون الإدّعاء أنّه بامكاننا الكشف عن سرّ المقاصد الإلَهيّة الصّحيحة:

١– لإظهار مجده تعالى (بإجبار الشّيطان، على لسان الضّحيّة، أن يقرّ بألوهيّة المسيح أو مجد الله).

٢– للاقتصاص من الخطيئة أو لإصلاح الخاطئ.

٣– ليعلّمنا الله، وليذكّرنا بالصّراع ضدّ الشّيطان، وبالحاجة إلى الصّلاة والتّوبة.

وعليه، لأنّ الشّيطان لا يمكنه أن يمارس امتلاك النّفس، فهو لا يستطيع أن يتصرّف بحرّية الإنسان فيحرّكه كما يشاء. أمّا الوسائل التي باستطاعته أن يستعملها ليحمل الإنسان على أن يطابق إرادته حسب إرادته فهي: الخوف، والرِّعدة، وانبهار الرّوح أمام القوّة الغريبة التي تظهر من خلال التّأثيرات التي يوقعها على الجسد. وعليه، إنّ خسارة الحرّية عند الإنسان لا يمكن أن تنتج إلاّ عن رفض إراديّ من ناحيته. فالمسيحيّ يعلم بأنّه يملك قدرة للوقوف في وجه تأثيرات الشّيطان[3].

إنّ انتصار يسوع، بصليبه وقيامته، يقتضي غلبة الشّيطان النهائيّة[4]. ويعي المسيحيّ أنّه قد أسهم في هذا الانتصار[5]. إنّ ثقته بالصّمود أمام هجمات الشّيطان، لترتكز على نعمة الله الّتي تمنح إرادة الإنسان الحرّة، القوّة على الإسهام بطريقة فعّالة في صراع المسيح الظّافر. «ولكنّ الرّبّ صادق سيؤيّدكم ويحفظكم من الشرّير»[6]. ولقد هتف بولس قائلاً: «إذا كان الله معنا، فمن يكون علينا؟»..[7]. «وإنّي لواثق بأنّه لا الموت ولا الحياة، ولا الملائكة ولا رؤساء الملائكة، ولا الحاضر ولا المستقبل، ولا أصحاب القدرة العلويّة ولا السّفليّة، ولا خليقة أخرى، ولا شيء في وسعه أن يفصلنا عن محبّة الله لنا في ربّنا يسوع المسيح»[8]. هذا هو يقين المسيحيّ الّذي لا يتزعزع. إنّه لواثق من فعل الشّيطان في العالم، ومن الخطر الّذي يمثّله[9]، ولكنّه لا يحيا في الخوف أبداً، لأنّه واثق بأنّ هذا الفعل قد غاب نهائيّاً بالمسيح الرّبّ والسيّد. إنّه لَيُعلن رجاءه، بملء الفرح والثّقة، في تجلّي مجد الله ومجد أولئك الذين قبلوا الفداء في أورشليم السّماويّة. ويجهد في أن يكون يقظاً كربّ البيت، وكالصّبيّة الّتي تنتظر عريسها[10]، وأن يضاعف الوزنات التي قبلها كعطيّة، حتّى يعترف به السّيد «خادماً صالحاً وأميناً عندما يأتي في آخر الزّمان»[11].

٣- يوحنّا ٨، ٣٢-٣٦؛ غلاطية ٥،١٣.
٤- يوحنّا ١٢،٣١-٣٢.
٥- يوحنّا ١٦، ٣٣.
٦- ٢ تسالونيقي ٣، ٣؛ أعمال ٢٠، ٣٢.
٧- رومة ٨، ٣١.
٨- رومة ٨، ٣٨-٣٩.
٩- أفسس ٦، ١١-١٢.
١٠- متّى ٢٤، ٣٧-٤٤؛ ٢٥، ١-٣.
١١- متّى ٢٥، ١٤-٣٠.

وإذا كانت الكنيسة لا تستعمل كلمات الامتلاك الشّيطانيّ في رتبة التّقسيم، فهذا لأنّ كلمة «امتلاك» تمنح الشّيطان سلطاناً مطلقاً على الإنسان. وفي الحقيقة، الله وحده، الخالق والعناية، الفادي والمخلّص والدّيان، هو السيّد على الإنسان. فلا نقول بأنّ الله «يمتلك الإنسان». «إنّه يخلقه بمحبّة، ويخلّصه بمحبّة».

إنّنا نجد في كتاب «الاقتداء بالمسيح»[١٢] تعليماً قيّماً حول التّجارب والدّور الّذي تلعبه في حياتنا اليوميّة والرّوحية: «ما دام أنّنا نحيا هنا، فلا يمكننا أن نكون بمنأى عن المحن والبلايا. لهذا، قد كتب في سفر أيّوب: «التّجربة هي حياة الإنسان على الأرض»[١٣]. فعلى كلّ إنسان أن يكون حذراً ضدّ التّجارب الّتي تحيق به، وعليه أن يسهر ويصلّي حتّى لا يدع لمفاجآت الشّيطان مكاناً، هو الّذي لا ينام أبداً، «والّذي يطوف في كلّ مكان، مفتّشاً عن أحدهم ليفترسه».

وما دام أنّ الإنسان هو في الحياة، فهو ليس بالتّمام في مأمن من التّجارب. ذاك أنّنا نحمل بذرتّها فينا بسبب الشّهوة الّتي وُلدنا فيها. فالتّجربة تلو التّجربة، ودوماً، هناك شيء ما يعذّبنا، لأنّنا خسرنا الخير الأوّل والسّعادة الأولى. عديدون هم الّذين يحاولون أن يهربوا من التّجربة، ولكنّهم يسقطون في تجارب أكثر خطراً. لا يكفي أن نَهرب لننتصر، فالصّبر والتّواضع الحقيقيّ يحملاننا على أن نكون أقوياء أكثر من كلّ أعدائنا. فالّذي لا يستأصل الشرّ، يتجنّب الأسباب الخارجيّة فقط، وبالعكس، فترجع التّجارب إليه بأشدّ سرعة وضراوة. إنّك تنتصر بكلّ تأكيد، رويداً رويداً، وبصبر طويل، تعضدك معونة الرّبّ لا بعناد قاس وقلق.

تتأتّى التّجارب عن عدم ثبات الرّوح، وعن قلّة ثقة بالله. غالباً ما نجهل قدرتنا، ولكنّ التّجربة تدلّنا على ما نحن. لهذا، عندما ندخل في تجربة، علينا أن لا تقطع الرّجاء، بل لنصلّ إلى الله بحرارة أشدّ، حتّى يتنازل فيعضدنا في كلّ شدائدنا على ما يقول القدّيس بولس إلى أهل قورنتس: «إنّ الله صادق... يؤتيكم من التّجربة وسيلة النّجاة منها بالصّبر عليها»[١٤].

١٢- كتاب الاقتداء بالمسيح: القسم الأوّل، فصل ١٣.

١٣- أيّوب ٧، ١.

١٤- ١ قورنتس ١٠، ١٣.

٣- الرُّقيَة المؤذية

عدد ١٣– يقول مجمع أساقفة توسكانا في الرُّقيَة المؤذية ما يلي: «إنّها شكل خاصّ من السّحر يهدف إلى ضرر القريب. يحصيها القدّيس توما الأكوينيّ بين الخطايا المميتة. تسمّى بالعامّية «صيبة العين أو العين الشرّيرة» (شرّ يأتي من النّظر)، أو النّحس (ويقوم على عمل رموزٍ، وفي النّية تمنّي الشرّ أو الضّرر). ويتعلّق الأمر بأشكال من السّحر فظّة، يؤتى بِها أحياناً عن جهل أو عن سلامة نيّة، وأحياناً مع قصد عمل الشرّ...

بالرّغم من مظهر سلامة النيّة الّذي تعتلن به (الرّقية)، فإنّها عمل غير مقبول مسيحيّاً، على أنّه عمل مضادّ للدّين وللعدالة وللمحبّة. فمن غير المقبول أن يشتهي أحد ويبذل جهده لِيُضرّ شخصاً آخر. وما هو أشدّ خطورة في «الرّقية المؤذية» هو الإدّعاء بوضع الأشياء والحيوانات ولاسيّما الأشخاص تحت سلطة الشّيطان، أو أقلّه تحت نفوذه. في هذه الحالات، وعندما تتحقّق الرّقية تبعاً لهذا الإدّعاء المعيّن، يتّخذ الإدّعاء شكل «السّحر الأسود» la magie noire، ويشكّل عملاً شرّيراً خطيراً.

يطرح بعض المؤمنين السّؤال حول «النّحس». هل هو موجود؟ وما هي مفاعيله الحقّة؟ هل باستطاعة الشّيطان أن يستخدم أشخاصاً أشراراً، وبالتّالي حركات «كالنّحس» «وصيبة العين» ليضّر أحداً؟ نجيب بأنّه من الصّعب حقّاً الحكم على حالات خاصّة. ولكنّنا لا يمكن أن ننفي، في ممارسات من هذا النوع، مساهمةً ما من الشّيطان في الأذيّة والعكس صحيح. لهذا السّبب، رفضت الكنيسة، وترفض بقوّة «النّحس» وكلّ فعل يماثله.

٤- السّحر

عدد ٨– في هذا العدد يقدّم لنا مجمع أساقفة توسكانا تعليماً قيّماً حول السّحر، حيث يقول: جرياً على العادة، يقسم السحر سحرين: «أبيض» وسحر «أسود». هذا التّمييز يجد معناه، ولاسيّما عندما يتعلّق الأمر بمستوى المسوؤليّة الأدبيّة. فتعبير السّحر «الأبيض» يعود إلى ممارستين مختلفتين تماماً. بهذا نريد أن نقول إنّ هناك فنّاً به نأتي بأمور غريبة بواسطة وسائل طبيعيّة: لعب الخفّة، وفنّ خداع

الحواسّ. إنّه لَمِن الواضح أنّ هذا الفنّ هو غير مسيء ومسموح به، شرط ألاّ يستعمل وسائل غير مشروعة وألاّ يهدف إلى غايات غير شرعيّة. فليس هذا هو المقصود في هذا التّعليم.

ولكنّ الأمر يختلف، إذا قُصِدَ بالسّحر الأبيض أشكال من التَدخُّلات تَهدف إلى غايات جيّدة كإعادة علاقة بين حبيبين، أو شفاء من مرض، أو حلّ مشاكل إقتصاديّة... إنّما باللّجوء إلى وسائل غير ملائمة كالطّلاسم والتّمائم، والعوذ وشراب العشق، واعتقادات بعلاقات بين سحب ورق اللّعب والأشخاص والحوادث، أو اللّجوء إلى ممارسات طبّيّة مركّزة على علوم باطنيّة وقدرات تفوق قدرات الإنسان.

هنا تدخل أشكال من الخرافات والتّدجيل والخداع، وهذه مضادّة لطبيعة الإيمان، وغير مسموح بها وغير مقبولة، حتّى ولو كانت لا تشكّل خطراً على طبيعة نفس ضحاياها وأدبيّاتها.

السّحر «الأسود» هو أشدّ خطورة. فبطريقة مباشرة أو غير مباشرة، يستنجد صاحبه بقوى شيطانيّة، وفي كلّ الحالات يدّعي أنّه يعمل تحت نفوذها. يبغي السّحر «الأسود» عامّة، أهدافاً سيّئة (الأمراض، الويلات، الموت)، أو السّيطرة على مجرى الأحداث للمصلحة الخاصّة، ولاسيّما للحصول على مكتسبات شخصيّة كالمقامات والثّروات وما شابه. يسمّى سحراً «أسود» بسبب الأساليب الّتي يلجأ إليها، والغايات التي يهدف إليها. هذا الشّكل من السّحر هو تعبير حقّ ضدّ العبادة، وهو يهدف إلى أن يصير أتباعه «خدمة للشّيطان».

يشتمل هذا السّحر على كلّ الطّقوس الباطنيّة الّتي تُسمّى « «القدّاسات السّوداء». في الواقع، إنّ هذا الشّكل من السّحر لا يشرح من دون «تأثير من أب الكذب»[١٥]، الذي، كما يعلّمنا الكتاب المقدّس، يحاول بكلّ الطّرق أن يحوّل الإنسان عن الحقيقة، ويقوده إلى الضّلال وإلى الشرّ[١٦]، بالرّغم من الإندحار الّذي أصابه من مجيء ابن الله إلى هذا العالم[١٧]، والانتصار الممجّد الّذي حقّقه بقيامته[١٨].

١٥- يوحنّا ٨، ٤٤.

١٦- ١ بطرس ٥، ٨.

١٧- لوقا ١٠، ١٨.

١٨- فيليبّي ٢، ٩.

يقول التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة[١٩] ما يلي: يستطيع الله أن يكشف المستقبل لأنبيائه أو لغيرهم من القدّيسين. إلاّ أنّ الموقف المسيحيّ الصّحيح يقوم على تسليم الذّات بثقة بين يديّ العناية الإلٰهيّة في ما يتعلّق بالمستقبل، وترك كلّ فضول فاسد من هذا القبيل. وعدم التّبصّر قد يكون إنعداماً للمسؤوليّة.

يجب نبذ جميع أشكال العرافة: اللجوء إلى الشّيطان أو الأبالسة، إستحضار الأموات أو الممارسات الأخرى المفترض خطأً أنّها «تكشف» عن المستقبل. إستشارة مستطلعيّ الأبراج والمنجّمين وقارئي الكفّ، وشارحي الفأل أو الشّؤم أو الحظّ، وظاهرات الرّائين واللّجوء إلى الوسطاء، أمور تخبّىء إرادة التسلّط على الوقت، وعلى التّاريخ وأخيراً على البشر، وفي الوقت عينه الرّغبة في استرضاء القوى الخفيّة. إنّها على تناقض مع ما لله وحده علينا من واجب الإكرام والإحترام الممزوج بالخشية والمحبّة.

جميع ممارسات السّحر أو العرافة الّتي يزعمون بها ترويض القوى الخفيّة لجعلها في خدمة الإنسان، والحصول على سلطة فائقة الطّبيعة على القريب. حتّى وإن قُصد بِها توفير الصّحّة له، إنّما هي مخالفة جسيمة لفضيلة الدّين. ويكون الحكم أقسى على هذه الممارسات عندما تصحبها نيّة إيذاء الآخرين، أوتلجأ إلى مداخلات شيطانيّة. وحمل التعاويذ هو مُلام. ومناجاة الأرواح تنطوي مراراً على ممارسات عرافة أو سحر. ولذا، تنبّه الكنيسة المؤمنين إلى تجنّبها. واللّجوء إلى أنواع الطبّ المدعوّة تقليديّة لا يسوّغ استدعاء القوى الشّرّيرة ولا استغلال ما عند الآخرين من سرعة تصديق العرافة واستحضار الأرواح Divination et spiritisme.

٥- العرافة

عدد ٩- في هذا العدد يقول لنا مجمع أساقفة توسكانا في ما يخصّ العرافة (التكهّن بالمستقبل) ما يلي: «ترتبط العرافة بالسّحر. وهي بحصر المعنى، ممارسة تشكّل محاولة يُراد بِها التكهّن بالمستقبل إنطلاقاً من علاقات مأخوذة من عالم الطّبيعة أو بشرح الفأل أو الشّؤم أو الحظّ. وبالمعنى العامّ، إنّ العرافة تشكّل غالباً، عند البشر البسطاء، مزيجاً من السّذاجة وسلامة النيّة، وهي تَهدف أن

١٩- التّعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة، مرجع سابق، أعداد ٢١١٥-٢١١٧، ص ٦١٢.

تعرف مُسبقاً، بواسطة أساليب وفنون خاصّة، شيئاً ما سيحدث. تشتمل العرافة على:

التّنجيم: وهو إدّعاء يحصر مستقبل البشر في النّجوم والأبراج.

التّبصير: ويقوم على معرفة المستقبل بواسطة ورق الّلعب.

قراءة الكفّ: ويقوم على قراءة خطوط الكفّ وماشابه ذلك.

إنّ أسوأ تعبير للعرافة هو التكهّن بواسطة استحضار الأرواح، أي اللّجوء إلى أرواح الموتى والإتّصال بِهم لكشف المستقبل. إنّ حفلات استحضار الأرواح إنّما تندرج في هذا النّوع من السّحر. في هذه الحفلات يحاول المساهمون والوسطاء أن يستدعوا نفوس الموتى (مثلاً، على ما يقال تسجيل أصوات من وراء القبر). في الحقيقة، إنّهم يُدخلون نوعاً من التخلّيّ بالنّسبة إلى الحاضر، ونوعاً من الخداع الإيمانيّ في العالم الآخر؛ وفي العموم، هذه المخادعات هي وسائل لقوى الشرّ تستعملها غالباً لغايات مُخرِّبة، مُعدَّة لإرباك الإنسان وإبعاده عن الله.

٦- الجماعات الباطنيّة

في تفاعل مع هذه الأشكال المتنوّعة من العرافة، نجد جماعات باطنيّة وخفيّة ترجع إلى الزّمن القديم، أو أنّها ولدت حديثاً (من الحكمة الإلَهيّة Théosophie إلى الـ Anthropoposophie إلى العصر الجديد Nouvel âge) جماعات تدّعي أنّها تفتح باباً تدخل فيه إلى معرفة الحقائق الخفيّة، وإلى الحصول على قوى روحيّة خاصّة. تولّد هذه الجماعات البلبلة في عقل البشر، وخاصّة الشّبان منهم، وتقودهم إلى تصرّفات تحمل على الجدال الشّديد من النّاحية المسيحيّة.

إنّنا نقع أيضاً على جماعات تسرف في الجنس، فتتولّد عنها نتائج تشغل بال الأشخاص الّذين يتعاطونه، سواء كان من النّاحية النّفسيّة أم من النّاحية الأخلاقيّة. أنّنا نحذّر المؤمنين من خطر هذه البدع ومن أخطائها، مردّدين دعوة بولس لتلميذه تيموتاوس: «فسيأتي يوم لا يحتمل فيه النّاس التّعليم الصّحيح، بل يتّخذون طائفة من المعلّمين وفق شهواتِهم لِما فيهم من حكّة في آذانهم، فيصمّون مسامعهم عن الحقّ ليُقبلوا على الخرافات»[٢٠]. الباطنيّة، البدع الشّيطانيّة، القداديس السّوداء... وفي أفريقيا وأميركا

٢٠- ٢ تيموتاوس ٤، ٣-٤.

الجنوبيّة: حمل التّعاويذ، وعبادة الجنّ... والمبصّرون، والسّحرة، وشارحو الفأل أو الشّؤم أو الحظّ، الأيديولوجيّات الصّخبة والشّيطانيّة، السّحر الأسود، الشّعوذة، ممارسات اليوغا، التّأمّلات المتعالية... نضمّ إلى كلّ ذلك الاستعداد الدّائم للّجوء إلى ينابيعِ معرفة وشفاء غيرِ يسوعَ المصلوب «حفروا لهم ينابيع مشقّقة، وتركوني أنا الينبوع الحيّ»... إنّ كلّ هذه الممارسات قد دانتها الكنيسة دوماً، بسبب تعارضها مع الله وعدم توافقها مع الإيمان.

نرجع إلى دعوة بولس لتيموتاوس، ونذكّر بكلام يوحنّا في رسالته الأولى: «أيّها الأحبّاء، لا تركنوا إلى كلّ روح، بل اختبروا الأرواح لترَوا هل هي من عند الله. لأنّ الكثيرين من المتنبّئين جاؤوا العالم»[٢١].

إنّ معرفة الإنجيل الكاملة واللّقاء المعيوش مع المسيح في الكنيسة عروسته، تقدّم أنجع دواء لأشكال الوثنيّة الجديدة. إنّما على المؤمنين أن يكونوا مبشّرين كما يليق، بأسس الإيمان بالرّبّ القائم من الموت، وبقبول كلمته وأسراره، وبالممارسة الحقّة للصّلاة والحياة الكنسيّة.

٧- الممارسات الخفيّة وأخلاقيّتها

عدد ١٢– يقول مجمع أساقفة توسكانا في أخلاقيّة هذه الممارسات الخفيّة ما يلي: في العموم، لم تَهتمّ الكنيسة كثيراً في تحليل تفاصيل ظاهرة السّحر. ولكنّ إدانة الكنيسة لَها كانت دائمة ولا لبس فيها، وجاءت متّفقة مع ما يعلّمه الكتاب المقدّس. إنّ قساوة العهد القديم الشّديدة ضدّ من يمارس السّحر هي معروفة[٢٢]. وسبب هذه القساوة يقوم في أنّ السّحر هو رفض لله الواحد والحقّ. «لا تميلوا إلى أصحاب التّوابع والعرّافين لا تطلبوا فتتنجّسوا بهم. أنا الرّبّ إلهكم»[٢٣]. «وأيّ إنسان مال إلى أصحاب التّوابع والعرّافين ليفخر

٢١- ١ يوحنّا، ٤، ١.
٢٢- خروج ٢٢، ١٧؛ أحبار ٢٠، ٢٧.
٢٣- أحبار ١٩، ٣١.

باتّباعهم جعلت وجهي ضدّ ذلك الإنسان وقطعته من بين شعبه... إنّي أنا الرّبّ إلهكم»[٢٤].

في نظر الكتاب المقدّس يشكّل السّحر عملاً جحوداً بالرّبّ، المخلّص الوحيد لشعبه[٢٥]، ويساوي حركة تمرّد على الله وكلمته[٢٦]. «أنا الرّبّ ولا مخلّص غيري. إنّي أخبرت وخلّصت وأسمعت وليس فيكم غريب، وأنتم شهودي يقول الرّبّ وأنا الله»[٢٧]. فالاستسلام للسّحر هو كالاستسلام للزّنى: «شعبي يسأل بخشبته وعصاه تنجده، لأنّ روح الزّنى أضلّهم فزنوا عن إلههم»[٢٨].

إنّ سفر الحكمة يشير بسخرية إلى أنّ الطّقوس السّحريّة تقود إلى وضعٍ مذرٍ بدل أن تنجّي: «حينئذٍ بطلتْ صناعة السّحر وشعوذته، وبرز على افتخارهم بالحكمة حجّة مخزية، إذ الّذين وعدوا بنفي الجَزع والبلبال عن النّفس الدنِفة هؤلاء أدنَفَهُمْ خوف مضحك»[٢٩].

٨- متى تتدخّل الكنيسة؟ وما مستوى هذا التّدخّل؟

عدد ١٥- يحدّثنا مجمع أساقفة توسكانا في العددين ١٦و١٧ عن تدخُّل الكنيسة ومستوى هذا التّدخّل: «إنّ زمن الكنيسة هو زمن أزمة، زمن اختيار وصراع ضدّ قوّات الشرّ، «الرّئاسات» والسّلاطين»[٣٠]. فالمجرّب، بالرّغم من اندحاره، ما برح يحول دون التّحقيق الكامل لمشروع الله الخلاصيّ في التّاريخ. فالكنيسة هي ملتزمة في «الخطّ الأوّل»، باسم المسيح وقوّة الرّوح القدس، في هذه «المأساة الإلهيّة»، وفق تعبير موفّق للاهوتيّ معاصر. فرسالة

٢٤- أحبار ٢٠، ٦-٧.
٢٥- تثنية ١٣، ٦.
٢٦- ١صموئيل ١٥،٢٣.
٢٧- آشعيا ٤٣، ١١-١٢.
٢٨- هوشع ٤، ١٢؛ ٣، ٢-٣.
٢٩- حكمة ١٧، ٧-٨.
٣٠- أفسس ٣، ١٠.

الكنيسة الأساسيّة، في غضون ذلك، هي أن تميّز حقيقة عمل الشّيطان من ظواهر من نوع آخر، أو أن تتعرّف، حالة بحالة، على عمل الشّيطان.

في الواقع، قد يحدث، لا سيّما في وسط موسوم بسيادة الفكر السّحريّ الخفيّ والخرافيّ، أن يتألّم شخص من مرض نفسيّ أشدّ أو أقلّ خطورة، فيفكّر بأنّه ضحيّة تأثيرات شيطانيّة وامتلاك شيطانيّ، من دون أن يكون هناك سبب حقيقيّ بل مجرّد وسواس.

إنّ رتبة التّقسيمات تدعو الرّعاة إلى أن يكونوا فطنين جدّاً كي يميّزوا بطريقة صحيحة بين حالات الإستيلاء الشّيطانيّ وبين سذاجة ما، قد تحمل بعض المؤمنين على التّفكير بأنّهم عرضة للنّحس واللّعنات وما شابه. يجب ألا يُمْنَع عنهم العون الرّوحي، ولكن يجب ألاّ يلجأ الكهنة، ولا بأيّة طريقة، إلى التّقسيم. «بالحريّ يجب أن تُتلى بعض الصّلوات معهم ولَهم، حتّى يجدوا سلام الله».

فالرّتبة عينها تعطي في العدد ٦٧ تعليمات قيّمة في هذا الصّدد. فمن الواضح أنّ حالات كهذه تتطلّب انتباهاً بالغاً وحكمة راعويّة كبيرة. فإنّ كلّ تدخّل، لا يعني أنّ طالبه يوجد في حالة من التأثير الشّيطانيّ. علاوة على ذلك، فلنتذكّر أنّه بنسبة وجود أشكال عديدة من التّدخّل الشّيطانيّ، توجد بالنّسبة عينها مستويات متنوّعة من التّدخّل الكنسيّ. فالتّقسيم هو محفوظ فقط لحالات الإمتلاك الشّيطانيّ بما فيه الكفاية. هذه الحالات هي الأشدّ خطورة والنّادرة جدّاً.

وفي كلّ الأوضاع الأخرى، من الظّهور المكانيّ، إلى الوسواس، وإلى المضايقات الشّيطانيّة وغيرها، من المناسب اللّجوء أوّلاً إلى أشكال أخرى من التدخُّل:

– سماع كلام الله والاعتصام بالنّدامة والتّوبة.

– تلاوة صلوات نجاة خاصّة، وفق الأشكال المحدّدة من الأسقف المحلّيّ، يقوم بها جماعات أو أشخاص مُكلّفون.

– الاحتفال بالأسرار أو بأشباه الأسرار بأبّهة، وحسب مدلولِها.

إنّ هذه الأشكال المتنوّعة من التدخُّل، إنّما هي أشكال من عمل الكنيسة الّتي تتشفّع لأولادها، وتنشر نعمة القائم من الموت الخلاصيّة في العالم. هذا يقال، بنوع خاصّ،

في حال المضايقة الّتي يمارسها الشّيطان ضدّ المُعمَّدين، الّذين يبدو لهم سرُّ الرّحمة وكأنّ الظّلام يغشاه. فعندما نلقى أوضاعاً من هذا النّوع، تضرع الكنيسة إلى المسيح. ولأنّها تثق بقوّته، تحصل على معونات خاصّة للمؤمنين لكي يتحرّروا من هذه المضايقات.

فالمؤمن الذي هو عرضة لهذه المضايقات، يجب حثّه، أقلّه عندما يكون ذلك ممكناً، ليصلّي إلى الله، وليقوم بالإماتات، وليجدّد دوماً مواعيد إيمانه، وليحتفل بسرّ المصالحة، وليتقوّى بسرّ القربان المقدّس. كما يجب حثّ أهله وأصدقائه في الوقت نفسه، وحثّ جماعة المؤمنين على الصّلاة والعبادة والأماتات؛ بمعنى أنّ صلاة أشخاص عديدين وحياة النّعمة عندهم تساعده وتكون قدوة له.

فقط، بعد استخدام كلّ الوسائل المذكورة، تقول لنا الكنيسة إنّه بإمكاننا أن نفكّر باللّجوء إلى التّقسيم. إنّ الأمر، في هذه الحالة، يتعلّق بشبه سرٍّ حقيقيّ. فالكنيسة هي حريصة دوماً على تنظيمه، خصوصاً إذا استعمل تحت شكل ليتورجيّ. ففي التّقسيم تستعمل الكنيسة قوّتَها وسلطانَها على الشّياطين. إنّ هذه الخدمة – في شكلها العامّ – هي محفوظة حصراً للأساقفة وللكهنة المفوّضين من أسقفهم الخاصّ.

التّقسيم يقوم بطرد الشّياطين والتّحرير من النّفوذ الشّيطانيّ، وهذا بالسّلطان الرّوحي الّذي سلّمه يسوع إلى كنيسته. إنّها لَمُغايرة حالة الأمراض، ولا سيّما النّفسيّة منها؛ ومعالجتُها تدخل في نطاق العلم الطبّي. إذاً، إنّه لَمن الأهمّية بمكان، التأكّد، قبل ممارسة التّقسيم، من أنّ الأمر يتعلّق بحضور الشرّير، لا بمرض نفسيّ. إنّ عمل التّقسيم هذا يجب أن يتمّ باهتمام. فالتّقسيم يعمل على تجزيء هذا العمل بالنّسبة إلى العلامات الّتي تسبقه والّتي ترافقه والّتي تتبعه. «حسب الممارسة المعروفة تؤخذ بعين الاعتبار العلامات المعيّنة:

– التلَفُّظُ بكلمات عديدة بلغة غير معروفة.

– الكشف عن أشياء بعيدة أو مخبّأة.

– إبداء قوى فائقة على طبيعة العمر أو الحالة.»

من جهة أخرى، لا تشكّل هذه العلامات سوى إشارات أولى، يجب أن ترتبط بعلامات ذات ميزة أدبيّة:

- كالكراهية للحقائق الدّينيّة.
- وتصرّف الشّخص في ما يتعلّق بالإيمان والحياة المسيحيّة وإخفاق كلّ الممارسات الأخرى.

علاوة على ذلك، يجب تفسير العلامات، كلّ حالة بحالتها. وعلى صعيد التّعليم المسيحيّ، يجب العمل حتّى لا يُفتّش المؤمنون، في التّقسيم، عن نوع من السّحر الّذي «ينجح»[1]. يجب العمل على تربيتهم التّربية الصّحيحة.

على الصّعيد اللّيتورجيّ، علينا أن نتبنّى وصيّة الرّتبة «على أنّه يجب القيام بطريقة تُظهر إيمان الكنيسة، وبمعنى ألاّ يتمكّن أحد من أن يرى فيه عملاً سحريّاً أو خرافيّاً. كما يجب الحرص في أن يغدو التّقسيم عرضاً مسرحيّاً للأشخاص الحاضرين، أو في أن يُنشر عبر الوسائل الإعلاميّة».

يسير العهد الجديد في الخطّ نفسه، فهو عندما يطلب الإيمان بالرّبّ الواحد يسوع المسيح والمعموديّة باسمه، يشدّد على رفض كلّ ذهنيّة وتصرُّف سحريّ[٣١]. في الواقع، هناك معارضة واضحة بين إعلان الإيمان والسّحر[٣٢]. فالمؤمنون الحقيقيّون هم مدعوّون إلى أنْ يسلّموا أمرهم للرّبّ يسوع، ابن الآب المحبوب[٣٣]، وإلى الكتب المقدّسة الّتي سلّمها الرّوح القدس إلى الكنيسة[٣٤].

السّحر، بأيّ شكل كان، هو جزء من الأعمال الّتي تُبعِد عن ميراث ملكوت الله[٣٥]، حتّى أنّ الرّؤيا تُبعِد عن أورشليم السّماويّة «الكذّابين» و«السّحرة» من كلّ نوع[٣٦]. في الواقع، إنّ السّحر يحلّ الخلائق محلّ الله، ويحاول إعادة التّجربة الشّيطانيّة الّتي ارتضى يسوع

٣١- أعمال ٨، ٩-١٣؛ ١٩، ١٨-٢٠.
٣٢- أعمال ١٣، ٦-١٢؛ ١٦، ١٦-٢٤.
٣٣- مرقس ١، ١١.
٣٤- ٢ بطرس ١، ١٦-٢١.
٣٥- غلاطية ٥، ٢٠.
٣٦- رؤيا ٩، ٢١؛ ١٨، ٢٣؛ ٢١، ٨؛ ٢٢، ١٥.

أن يخضع لَها، وفيها أحرز النّصر. «قال له إبليس أعطيك جميع سلطان هذه الممالك مع مجدها لأنّها قد دُفعت إليَّ، فأنا أعطيها لِمن أشاء. فإنْ سجدت أمامي، يكون لك ذلك جميعه. فأجاب يسوع وقال له: قد كُتب للرّبّ إلهك تسجد، وإيّاه وحده تعبد»[٣٧].

■ ثانياً: التّعارض بين السّحر والإيمان

هذا كان دوماً تعليم الإيمان المسيحيّ. فتعليم الإثنيّ عشر يحصي الطّرق الّتي توصل إلى الموت وعبادة الأوثان والسّحر والتّعاويذ. وحوالى أواخر القرن الثّاني شنّ تتيان Tatien حرباً ضروساً ضدّ الجبريّة الفلكيّة التي كان يرى فيها شكلاً من سلطان الشّيطان على البشريّة.

في التّقليد الرّسوليّ كان هيبوليت Hyppolyte يمنع العماد عن السّحرة والمنجّمين والعرّافين.

ولقد تلفّظ ترتليان Tertullien بكلمات قاسية جدّاً حيال كلّ من يتعاطى السّحر: «يجب الامتناع حتّى عن الكلام على المنجّمين والسّحرة والمشعوذين من كلّ شكل. فالمنجّم الّذي يعلن أنّه مسيحيّ إنّما هو يدافع بكلّ وقاحة عن مهنته. إذاً، إنّه من الواجب تذكير هذا الإنسان والذين على شاكلته، وإنْ بطريقة مختصرة، أنّهم يغيظون الله بوضعهم النّجوم تحت حماية الأصنام، وبجعلهم مصير البشر متعلّقاً بها. إنّ التّنجيم والسّحر هما من اختراعات الشّياطين الخسيسة». تجدر الإشارة إلى أنّ هذا الموقف هو مشترك بين معظم آباء الكنيسة.

بالنّسبة إلى القدّيس أغوسطينوس، السّحر هو شيطانيّ. في المقابل، إنّ الدّين المسيحيّ هو انتصار على قوّة الشّيطان، وفي قطيعة تامّة مع هذا العالم. ولمّا كان المُرتدّون إلى الدّين المسيحيّ يجدون صعوبات في التّخلّي عن الممارسات السّحريّة القديمة، كان الحكم عليهم قاسياً جدّاً.

وإذا كان موقف القدّيس توما متّزناً جدّاً، فإن نصوصاً عديدة، لاسيّما في العصر الوسيط المتأخّر، قد جاءت بنبرة تتجاوز الحدّ المألوف، وصلت إلى شرح فكرة «الرُّقيَة المؤذية»

٣٧- لوقا ٤، ٦-٨.

كقوّة تتمكّن كائنات بشريّة، وبنوع خاصّ النّساء، أن تزاولها على الآخرين، بعد المتاجرة مع الشّيطان والإستسلام له. هذه الفكرة، هي التي أفضت إلى الحكم بقسوة على الدّجّالين والسّحرة...

على كلّ حال، إنّ هذا الموقف يحمل المسيحيّين على أن يكونوا حكماء، ليدركوا بأنّ السّحر إنّما هو دوماً عمل مباشر من الشّيطان.

من ناحية ثانية، لا يمكننا، لاهوتيّاً وعقليّاً، أن نردّ فقط حقيقة الممارسات السّحريّة، وبنوع خاصّ ممارسات السّحر الأسود، إلى ظاهرة نفسيّة منحرفة أو إلى فعل بسيط خاطئ من قبل الإنسان. فلا يمكننا أن ننفي وجود عمل الشّيطان وعلاقته بهذه الممارسات، هذا العدوّ المجدِّف على الرّبّ يسوع وعلى خلاصه. فالشّيطان–كما تعلّمنا الرّؤيا– سيستعمل حتّى آخر الأزمنة كلّ قواه وذكائه ليخدع المعمّدين، ويقف في وجه التّحقيق الكامل لمشروع الله الخلاصيّ في العالم[٣٨].

يؤكّد المجمع الفاتيكانيّ الثّاني «أنّ صراعاً عنيفاً ضدّ قوى الظّلام يرافق تاريخ البشر كلّه؛ وهذا الصّراع منذ البدء، سيظلّ حسب قول الرّبّ، حتّى اليوم الأخير. وبما أنّ الإنسان دخل المعركة، عليه أن يحارب من دون هوادة ليتمسّك بالخير. ولا يتوصّل إلى تحقيق وحدة ذاته الدّاخليّة إلاّ بعد جهود كبيرة، وبمساندة نعمته تعالى»[٣٩].

■ ثالثاً: السّحر عمل غير مسموح به أخلاقيّاً

لا يمكن للمسيحيّ أن يقبل بالسّحر، لأنّه لا يمكنه أن يفضِّل الاعتقادات الضّالّة على الله. كما لا يمكنه أيضاً أن يقبل بأن تكون حياته خاضعة لقوى خفيّة تحرِّكها طقوس سحريّة عند الطّلب، أو أن يكون مستقبله مكتوباً مُسبقاً في حركات الكواكب أو في أشكال أخرى من الفأل.

يقول التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة «إنّ الله يستطيع أن يكشف المستقبل لأنبيائه أو لغيرهم من القدّيسين. إلاّ أنّ الموقف المسيحيّ الصّحيح يقوم على تسليم

٣٨– رؤيا ٢٠، ٨.

٣٩– المجمع الفاتيكانيّ الثّاني ك ع ٣٧، ٢.

الذّات بثقة بين يدي العناية الإلَهيّة في ما يتعلّق بالمستقبل، وترك كلّ فضول فاسد من هذا القبيل. وعدم التبصُّر قد يكون عدماً للمسؤوليّة»[٤٠]. فالسّحر «(الأسود)»، بنوع خاصّ، يشكّل للمؤمن خطيئة جسيمة جدّاً. إنّ هذا لينسحب على العرافة واستحضار الأرواح.

يشرح التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة بأنّه «يجب نبذ جميع أشكال العرافة: اللجوء إلى الشّيطان أو الأبالسة، إستحضار الأموات أو الممارسات الأخرى المفترض خطأً أنّها «تكشف» عن المستقبل. إستشارة مستطلعي الأبراج، والمنجّمين وقارئي الكفّ، وشارحي الفأل أو الشّؤم أو الحظّ، وظاهرات الرّائين والّلجوء إلى الوسطاء، أمور تخبّئ إرادة التّسلّط على الوقت، وعلى التّاريخ، وأخيراً على البشر، وفي الوقت عينه الرّغبة في استرضاء القوى الخفيّة. إنّها على تناقض مع ما لله وحده علينا من واجب الإكرام والاحترام الممزوج بالخشية المحبّة»[٤١].

إنّ المُعمَّد، بإقراره أنّه مدعوّ من الله ليعيش وجوده الخاصّ كجواب حرّ على مشروع محبّته بقبول النّعمة، يرفض كلّ شكل من أشكال الممارسات السّحريّة بمقدار ما تشكّل انحرافاً عن الحقيقة الموحاة، أو أنّها تتناقض مع الإيمان بالله الخالق ومع العبادة الخاصّة به والواجبة له، والّتي تتعارض مع الاعتراف بيسوع المسيح مخلّصاً وحيداً للإنسان والعالم ولعطيّة الرّوح القدس. إذاً، إنّها ضارّة لكمال الإقرار بالإيمان ومهدّدة للخلاص.

«جميع ممارسات السّحر أو العرافة التي يزعمون بها ترويض القوى الخفيّة لجعلها في خدمة الإنسان، والحصول على سلطة فائقة الطّبيعة على القريب –حتّى وإن قُصد بها توفير الصّحّة له– إنّما هي مخالفةٌ مخالفةً جسيمة لفضيلة الإيمان. ويكون الحكم أقسى على هذه الممارسات عندما تصحبها نيّة إيذاء الآخرين، أو تلجأ إلى مداخلات شيطانيّة. وحمل التّعاويذ هو أيضاً مُلام. ومناجاة الأرواح تنطوي على ممارسات عرافة أو سحر. ولذلك، تنبّه الكنيسة المؤمنين إلى تجنّبها. واللجوء إلى أنواع الطّبّ المدعوّة تقليديّة لا يسوّغ استدعاء القوى الشّرّيرة ولا استثمار ما عند الآخرين من سرعة تصديق»[٤٢].

٤٠– التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة.

٤١– المرجع نفسه.

«إنّ التّفتيش عن الظّواهر الفائقة الطّبيعة وعن السّلطات «الخارقة» كالرّؤى عن مسافة، والسّفر إلى الماوراء أو إنتاج «سائل»، يمكن أيضاً أن تكون ضلالاً أو خطراً على الاتّزان البشريّ الصّائب وعلى عيش الإيمان الصّحيح بالعماد. إنّ العديد من هذه الظّواهر يدخل في نطاق العلم النّفسيّ الغيبيّ، إذاً في مجال العلم حتّى ولو بقي شرحها صعباً. إنّها تقدّم أحياناً هامشاً من السرّ، بإمكانه أن يُحدث تساؤلات حول معنى الحياة والموت. ولكنْ، بنوع عامّ، إنّها تُستخدم لغايات ملتبسة ودينيّة خاطئةً، وحتّى لابتغاء الرّبّ»[٤٢].

أنّنا نحذّر المؤمنين من أن يقعوا ضحيّة استغلال لمثل هذه الأشكال وفي أخطار مرتبطة بها. إنّ المعنى الصّحيح للإيمان ليس بحاجة إلى مثل هذه المراجع. أن يكون الإنسان تلميذ يسوع، حسب ما يصفه لنا الإنجيل، يتطلّب لقاءً سليماً وحقّاً مع يسوع الرّبّ والسيّد، وكرهاً لأشكال التّفتيش عمّا هو «فائق العادة».

«إنّ الاهتمام بيسوع والاهتداء إلى كلمته والسّير وراءه، بالاشتراك مع الكنيسة جمعاء، هو المثال الجوهريّ الذي علينا أن نفتّش عنه واتّباعه، كما عمل الملايين والملايين من المؤمنين منذ البداية حتّى يومنا هذا، من دون أن نحيد عنه بمذاهب خاطئة وتصرّفات باطلة في التّفتيش عن المعجزة»[٤٣].

٤٢– التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة.

٤٣– المرجع نفسه.

الفصل الرّابع

رتبة التّقسيم اللّاتينيّة الحديثة[1]

في الثّاني والعشرين من تشرين الثّاني ١٩٩٨، أصدر مجمع العبادة الإلَهيّة ومجمع الأسرار رتبة تقسيم جديدة. تتحفنا الرّتبة، في القسم الأوّل، بدراسة قيّمة حول تعليم الكنيسة في هذا الموضوع.

■ أوّلاً: مضمون الرّتبة

مقدّمة

«الملائكة حاضرون، على مدى تاريخ الخلاص. بعضهم خدّام المشروع الإلَهيّ، ويمدّون الكنيسة دوماً بمساعدة خفيّة وقويّة في آن، والبعض الآخر قد سقطوا وسُمّوا شياطين. هؤلاء يضادّون إرادة الله الخلاصيّة والعمل الّذي يتمّه الرّبّ يسوع، ويجهدون أن يُشركوا الإنسان بتمرّدهم على الله».

يدعى الشّياطين وإبليس في الكتب المقدّسة بأسماء مختلفة تدلّ على طبيعتهم وعملهم. يسمّى الشّيطان الحيّة القديمة والتنّين، وهو يغطّي الأرض كلّها ويصارع ضدّ الّذين يحفظون وصايا الله ويشهدون ليسوع المسيح[2]. إنّه يدعى «عدّو البشر»[3] و «قاتل النّاس منذ البدء»[4]، عندما جعل الإنسان عرضة للموت بالخطيئة. ولمّا كان يحضّ الإنسان على نصب المكائد ليعصي الله، دُعي المُجرّب[5]، و «الكذّاب وأبو الكذب»[6] المحتال،

١- رتبة التّقسيم اللاّتينيّة، ١٩٩٨.

٢- رؤيا ١٢، ٩و١٧.

٣- ١ بطرس ٥، ٨.

٤- يوحنّا ٨، ٤٤.

٥- متّى ٤، ٣؛ ٢٦، ٦٣.

٦- يوحنّا ٨، ٤٤.

كما يتبيّن ذلك من طُغيان أبوينا الأوّلين[٧]، ومن محاولته أن يحوّل يسوع عن الرّسالة الّتي قبلها من الآب[٨]، وأخيراً تحوّله إلى «ملاك من نور»[٩]. إنّه يُدعى أيضاً «أمير هذا العالم»[١٠] الذي يوجد مقيماً بكلّيته تحت وطأة الشّرّير[١١]، وهو لا يعرف النّور الحقيقيّ[١٢]. وأخيراً، إنّ قوّته تسمّى «قوّة الظّلمة»[١٣]، لأنّه يبغض النّور الذي هو يسوع المسيح، ولأنّه يجرّ النّاس إلى ظلماته. وعلاوة على ذلك، إنّ الشّياطين الّذين، مع إبليس، لم يخدموا الرّبّ[١٤]، هلكوا[١٥] وشكّلوا الأرواح الخبيثة[١٦]، وقد خلقهم الرّبّ أرواحاً فخطئوا ودُعوا «ملائكة الشّيطان»[١٧]، ما يعني أنّ رسالةً ما كلّفهم بها رئيسُهم الشّرّير.

قد هدم ابن الله، بانتصاره، أعمال الأرواح النّجسة والمُظلمة[١٨] حتّى «ولو أنّ حرباً ضروساً تعبر كلّ تاريخ البشر ضدّ قوّات الظّلام»، وتدوم حتّى اليوم الأخير؛ فيسوع قد انتشلنا بسرّ فصح موته وقيامته «من عبوديّة الشّيطان والخطيئة»، «داحراً قوّتهم ومحرّراً الأشياء كلّها من العدوى السيّئة. ولكن، لمّا كان أنّ عمل الشّرّير المضرّ قد مسَّ البشر والأشياء والأماكن وظهر بأشكال مختلفة، ولمّا كانت الكنيسة قد وعت دوماً أنّ الأيّام سيّئة»[١٩]، فقد صلّت وتصلّي كي ينجو البشر من حبائل إبليس.

٧- تكوين ٣، ٤ و ١٣.
٨- متّى ٤، ١و١١؛ مرقس١، ١٣ لوقا ٤، ١و١٣.
٩- ٢ قورنتس ١١، ١٤.
١٠- يوحنّا ١٢، ٣١ و ١٤، ٣٠.
١١- ١ يوحنّا ٥، ١٩.
١٢- يوحنّا ١، ٩و١٠.
١٣- لوقا ٢٢، ٥٣.
١٤- يهوذا ٦.
١٥- ٢ بطرس ٢، ٤.
١٦- أفسس ٦، ١٢.
١٧- متّى ٢٥، ٤١؛ ٢قورنتس ١٢، ٧؛ رؤيا ١٢، ٧و٩.
١٨- متّى ١٠، ١؛ مرقس ٥، ٨؛ لوقا ٦، ١٨؛ أعمال ٨، ٧؛ رؤيا ١٨، ٢؛ ١ تيموتاوس ٤، ١.
١٩- أفسس ٥، ١٦.

١. انتصار المسيح، وسلطان الكنيسة على الشّياطين

١- تؤمن الكنيسة، بثبات، أنّ الله الحقّ، الآب والإبن والرّوح القدس، هو واحد، وهو مبدأ وحيد لكلّ موجود، وخالق الكون المنظور وغير المنظور. كلّ ما خلق الله[٢٠] يحفظه ويقوده بعناية. وكلّ ما صنعه الله هو صالح. حتّى «إبليس وسائر الشّياطين قد خلقهم الله صالحين من طبيعتهم، إنّما هم الّذين جعلوا ذواتهم أشراراً». ينتج عن ذلك أنّهم كانوا صالحين، لو أنّهم بقَوا كذلك. ولكنْ، لأنّهم تصرّفوا سوءاً بطبيعتهم الجيّدة لم يثبتوا على الحقّ[٢١]. لم يبدّلوا طبيعتهم، ولكنّهم ابتعدوا عن الخير الأسمى الذي كان عليهم أن ينضمّوا إليه.

٢- لقد خلق الله الإنسان حقّاً «في البرّ وقداسة الحقّ»[٢٢]. وتقضي كرامته أن يتصرّف حسب ضميره واختياره الحرّ. ولكنْ، تحت تأثير الشّرّير، أساء استعمال الحرّية الّتي قبلها كعطيّة. بخطيئة المعصية[٢٣]، وقع تحت سلطان الشّيطان والموت، وغدا عبداً للخطيئة. هكذا، «فإنّ صراعاً مريراً ضدّ قوّات الظّلام يعبر تاريخ البشر كلّه. وقد بدأ منذ البدايات، وسيدوم حتّى اليوم الأخير كما قال السّيّد[٢٤]».

٣- لقد أرسل الآب الكلّيّ القدرة والرّحوم ابنه الحبيب لينتشل البشر من قوّة الظّلمات، وليدخلنا في ملكوته[٢٥]. وهكذا، فالمسيح «بكرُ الخلائق كلّها»[٢٦] ومجدّدُ الإنسان القديم، لبس جسدنا، جسدَ الخطيئة «ليقضي بموته بالذّات على ذاك الّذي له القوّة أن يميت، أعني به إبليس»[٢٧]. وبآلامه وبقيامته، رفع طبيعتنا البشريّة المجروحة إلى خليقة جديدة بعطيّة الرّوح القدس.

٢٠- قولوسّي ١، ١٦.
٢١- يوحنّا ٨، ٤٤.
٢٢- أفسس ٤، ٢٤.
٢٣- تكوين ٣؛ رومة ٥، ١٢.
٢٤- متّى ٢٤، ١٣؛ ١٣، ٢٤-٣٠ و ٣٦ - ٤٣.
٢٥- غلاطية ٤، ٥؛ قولوسي ١، ١٣.
٢٦- قولوسيّ ١، ١٥.
٢٧- عبرانيّون ٢، ١٤.

٤- أيّام عاش السّيد المسيح على هذه الأرض منتصراً على التّجارب في الصّحراء[٢٨]، طرد إبليس وسائر الشّياطين بسلطانه الخاصّ[٢٩]، فارضاً عليهم، بهذا، إرادته الإلَهيّة. بعمله الخير وبشفائه كلّ الذين استولى عليهم إبليس[٣٠]، أظهر عمل الخلاص حتّى يحرّر البشر من الخطيئة ومن نتائجها، وهكذا يخلّصهم من فاعل الخطيئة الأولى الذي هو مهلك البشر منذ البدء و «أبو الكذب»[٣١].

٥- عندما أتت ساعة الظّلمة، «وقد أطاع الرّبّ حتّى الموت»[٣٢] دَحَر آخر هجوم للشّيطان، منتصراً هكذا على العدوّ القديم. هذا الانتصار أظهره المسيح بقيامته المجيدة، عندما أقامه الله من بين الأموات، وأجلسه عن يمينه في السّماوات، وأخضع كلّ شيء تحت قدميه[٣٣].

٦- إبّان رسالته، أعطى المسيح الرّسل والتّلاميذ السّلطان ليطردوا الأرواح الشرّيرة[٣٤]. ووعدهم بالمؤيّد، الرّوح القدس المنبثق من الآب والابن، ليشجب ظلال العالم والحكم عليه، لأنّ سيّد هذا العالم قد حُكِمَ عليه. وبين العلامات التي ترافق المؤمنين، يُحصي الإنجيل طرد الشّياطين[٣٥].

٧- فيما بعد، ومنذ أيّام الرّسل، مارست الكنيسة دوماً السّلطان الذي قبلته من المسيح لطرد الشّياطين وإبعاد تأثيرهم[٣٦]. وهكذا، فهي باسم يسوع، تصلّي دوماً وبثقة كي تنجو من الشرّير[٣٧]. ودوماً، باسم يسوع، وبقوّة الرّوح القدس، تأمر الشّياطين بأنواع

٢٨- متّى ٤، ١-١١؛ مرقس ١، ١٢-١٣؛ لوقا ٤، ١-١٣.
٢٩- متّى ١٢، ٢٧-٢٩؛ لوقا ١١، ١٩-٢٠.
٣٠- أعمال ١٠، ٣٨.
٣١- يوحنّا ٨، ٤٤.
٣٢- فيليبّي ٢، ٨.
٣٣- أفسس ١، ٢١-٢٢.
٣٤- متّى ١٠، ١-٨؛ مرقس ٣، ١٤-١٥؛ ٦، ٧-١٣؛ لوقا ٩، ١؛ ١٠، ١٧و١٨-٢٠.
٣٥- مرقس ١٦، ١٧.
٣٦- أعمال ٥، ١٦؛ ٨، ٧؛ ١٦، ١٨؛ ١٩، ١٢.
٣٧- متّى ٦، ١٣.

متعدّدة لئلاّ يقفوا حاجزاً أمام عمل التّبشير[38]، وأن يرجعوا إلى من هو أقوى منهم[39]، المتسلّط على كلّ البشر وعلى كلّ واحد منهم. «عندما تلتمس الكنيسة، علناً وبقوّة السّلطة، باسم يسوع المسيح، حماية الأشخاص أو الأشياء من قبضة المحتال ونفوذه، فهي تمارس ما يسمّى بالتّقسيم[40]».

٢. التّقسيم في مهمّة الكنيسة التّقديسيّة

٨- تبعاً لتقليد كنسيّ قديم جدّاً ومُحافظ عليه من دون انقطاع، يجري تنظيم طريق التّنشئة المسيحيّة ككفاح روحيّ ضدّ سلطان إبليس[41]. وهذا عُنيَ عنه بوضوح، وعُمِلَ به بفعاليّة منذ البدء.

ففي وقت الموعوظيّة، إنّ التّقسيمات ذات الشّكل البسيط، أو التّقسيمات الصّغرى التي علينا أن نقوم بها على المختارين، إنّما هي صلوات الكنيسة التي بها، وقد لُقِّنَ هؤلاء أسرار المسيح المُحرِّر من الخطيئة، يتخلّصون من نتائج الخطيئة وتأثير إبليس، ويتقوّون في سيرهم الرّوحي، ويفتحون قلوبَهم لقبول عطايا المخلّص.

أخيراً، في الاحتفال بسرّ العماد، يكفر المعمدّون بالشّيطان وبأعماله وبأعوانه، ويُعلنون بالمقابل عن إيمانِهم بالله الواحد والثّالوث. حتّى، وفي رتبة عماد الأطفال، تُتلى عليهم صلاة تقسيم، هم الّذين تجرّبُهم إغواءات هذا العالم، والّذين عليهم أن يصارعوا مكايد الشّيطان، «لكيما يتقوّوا بنعمة المسيح على دروب الحياة».

يشارك الإنسان بالعماد بظفر المسيح على الشّيطان والخطيئة، عندما يمرّ «من الحالة الّتي يولد فيها ابناً لآدم الأوّل، إلى حالة النّعمة والتّبنّي، إذ يغدو ابناً لله بآدم الثّاني يسوع المسيح»، ويُخلّص من عبوديّة الخطيئة بالحرّية التي بها حرّرنا المسيح[42].

٣٨- ١ تسالونيقي ٢، ١٨.

٣٩- لوقا ١١، ٢١-٢٢.

٤٠- التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، مرجع سابق، عدد ١٦٧٣، ص ٤٩٧.

٤١- أفسس ٦، ١٢.

٤٢- غلاطية ٥، ١.

٩- حتّى ولو أنّ المؤمنين يولدون من جديد في المسيح، فهم يختبرون التّجارب الّتي تأتيهم من العالم. فعليهم إذاً أن يسهروا معتصمين بالصّلاة، ومتحلّين بالعفّة «لأنّ إبليس خصمهم كالأسد الزّائر يرود في طلب فريسة له»[٤٣]. لذلك، عليهم أن يصمدوا ثابتين في الإيمان، «وأقوياء في الرّبّ وفي قوّته القديرة[٤٤]»، ومُشجَّعين بهذه الكنيسة الّتي تصلّي حتّى يكون أولادها في أمان، وقد تحرّروا من كلّ اضطراب. فبنعمة الأسرار، وخاصّة بممارسة سرّ التّوبة بتواتر، يستمدُّون القوّة لكي يصلوا إلى ملء حرّية أبناء الله[٤٥].

١٠- إنّ سرّ الرّحمة الإلَهيّة يبدو مُظلماً، عندما، بسماح من الله، تتأتّى حالات من المضايقات الخاصّة والوساوس من قبل إبليس، لعضو من أعضاء شعب الله ينيره المسيح ليسير كابن للنّور نحو الحياة الأبديّة. عندئذ، يبدو سرّ الإلحاد الذي يعمل في هذا العالم[٤٦] جليّاً، حتّى ولو لم يتمكّن الشّيطان من تخطّي الحدود المرسومة له من الله. إنّ هذا الشّكل من السّلطان الذي يمارسه الشّياطين على الإنسان، هو مغاير للشّكل الذي مُورِس على الإنسان بالخطيئة الأصليّة، ألا وهو الخطيئة. في هذه المناسبات، تضرع الكنيسة إلى المسيح، الرّبّ والمخلّص، القويّ بقدرته، كي يمنح عونه للمؤمن المُضَايَق أو المسكون، حتّى يغدو مُحرَّراً من المضايقات أو من التّسلّط.

١١- بين هذه الإسعافات، وتحت شكل احتفاليّ، وما يُدعى إسعافاً كبراً، يتّسم التّقسيم الأكبر، وهو احتفال طقسيّ، بسمة مُميّزة. لهذا السّبب، وفي الواقع، فإنّ التّقسيم «الذي يهدف إلى طرد الشّياطين وإلى التّحرير من التّسلّط الشّيطانيّ بالسّلطان الرّوحيّ الذي عهد به يسوع إلى كنيسته» يدخل في مجموعة أشباه الأسرار. إنّه علامة مقدّسة «تدلّ على مفاعيل روحيّة تحصل بقوّة السّلطان الذي للكنيسة».

٤٣- ١ بطرس ٥، ٨.

٤٤ - أفسس ٦، ١٠.

٤٥- رومة ٨، ٢١.

٤٦- ٢ تسالونيقي ٢، ٧.

١٢- في التّقسيمات الكبرى تضرع الكنيسة إلى الرّوح القدس، لكيما يأتي لنجدة ضعفنا[٤٧] ليطرد الشّياطين، فلا يضرّوا المؤمنين فيما بعد. أمّا وقد آمنت الكنيسة بأنّ ابن الله أعطاها الرّوح بواسطة النّفخ بعد قيامته، فهي تعمل لا باسمها، بل باسم الله أو يسوع الرّبّ وحده من يجب أن تخضع له الأشياء كلّها، وحتّى إبليس والشّياطين.

٣. في الكاهن، وفي شروط القيام بالتّقسيم الكبير

١٣- إنّ خدمة العون الرّوحي للمسكونين والإذن بالتّقسيم عليهم، يمنحهما فقط الأسقف المحلّيّ لكاهن تقيّ، منوّر وفطن، ولا غبار على حياته، وقد أُعدَّ خِصّيصاً لهذه المهمّة. فالكاهن الذي عُهد إليه بها، إمّا بطريقة دائمة، وإمّا لحالة محدودة، يمارس عمل المحبّة هذا بثقة وتواضع. وعليه أن يلجأ غالباً إلى الصّلاة، طالباً من الله عونه تحت إرادة الأسقف. عندما نشير في الكتاب إلى المقسّم، يجب أن نفهم «الكاهن المقسِّم».

١٤- أوّلاً، على الكاهن المقسِّم ألاّ يعترف بسهولة بأنّ إنساناً هو مسكون من الشّيطان، إذا كان يتألّم من مرض، وخاصّة من مرض نفسيّ. علاوة على ذلك، عليه ألاّ يعترف بأن إنساناً هو مسكون، إذا أتى إليه مثبتاً بأنّه مجرّب، أو أنّه «مهزوز» أو معذَّب. في الواقع، يمكن أن يكون مخدوعاً بتوهّمه. كما أنّه عليه أن يدقّق ما إذا كان حقّاً معذّباً من الشّيطان.

١٥- عليه أن يميّز تمييزاً دقيقاً بين حالة استيلاء الشّيطان، وبين سرعة التّصديق الّتي تدفع ببعضهم، حتّى بالمؤمنين منهم، أن يحسبوا ذاتهم عرضة لرُقيَة مؤذية أو لسوء حظّ أو للعنة، إمّا هم وإمّا أقرباؤهم وإمّا مقتنياتهم[٤٨]. إنّه لا يرفض لهم أيّ عون روحيّ، إنّما، من دون أن يستعمل بأيّة طريقة التّقسيمات، يمكنه أن يقول بعض الصّلوات معهم ولَهم كي يحصلوا على سلام الله... هذا بإمكان كاهن ليس مقسّماً أن يقوم به، كما يمكن أن يقوم به شمّاس إنجيليّ.

٤٧- رومة ٨، ٢٦.

٤٨- ١ يوحنّا ٥، ١٨.

١٦– على المقسّم ألاّ يقوم بفعل التّقسيم، إلاّ بعد التّأكّد تأكّداً أدبيّاً، بأنّ الشّخص الّذي يجب التّقسيم عليه هو حقّاً محاصر بالشّيطان. فإذا كان ممكناً، فليكن التّقسيم برضى الشّخص عينه.

حسب ممارسة متّبعة، هناك علامات لا تُعتبر أنّها من الشّيطان الّذي يضايق، منها التّلفّظ بكلمات عديدة بلغة غريبة، أو فهم هذه اللغة التي يتكلّم بها أحدهم، أو كشف أحداث بعيدة أو مخبّأة، والإظهار عن قوى تفوق قوى العمر أو حالة القوى الطّبيعيّة. هذه الإشارات بإمكانها توفير بعض القرائن.

من ناحية ثانية، لمّا كان أنّ علامات من هذا النّوع، يجب ألاّ تُعتَبر وكأنّها متأتّية حتماً من الشّيطان، يجب أيضاً أن نكون متنبّهين لعلامات أخرى، سيّما من نوع أخلاقيّ وروحيّ، تدلّ بطريقة أخرى على التّدخّل الشّيطانيّ، وعلى سبيل المثال: الكره الشّديد لله ولاسم يسوع القدّوس، والعذراء القدّيسة مريم، والقدّيسين، والكنيسة، وكلمة الله، والأواني المقدّسة، والطّقوس، ولا سيّما أشباه الأسرار، وصور القدّيسين.

وأخيراً، يجب أحياناً أن يقيم علاقة كلّ الأسرار بالإيمان والجهاد الرّوحي في الحياة المسيحيّة تقييماً دقيقاً، لأنّ إبليس هو أوّلاً عدوّ الله، وعدوّ كلّ الأشياء الّتي تربط المؤمنين بعمل الله الخلاصيّ.

١٧– بعد تحقيق دقيق، طبعاً مع الحفاظ على سريّة سرّ الاعتراف، وقدر المستطاع، وبعد استشارة اختصاصيّ في الأمور الرّوحية، وعند الحاجة إختصاصيّين في الطبّ وعلم النّفس لَهم تحسّس في الأمور الرّوحية، يحكم الكاهن ما إذا كان هناك حاجة لاستعمال رتبة التّقسيم.

١٨– في الحالات التي تتعلّق بغير كاثوليكيّ، وفي حالات أكثر صعوبة، ليعرض الأمر على الأسقف، الذي، من باب الحيطة، يمكنه استشارة أشخاص أكثر اختصاصاً قبل أن يأخذ قراراً بشأن التّقسيم.

١٩– في استعماله التّقسيم، يحرص الكاهن على ألاّ يبدو ذلك كما لو أنّه ضرب من السّحر أو الخرافة، بل عمل إيمان الكنيسة. ويحرص على ألاّ يجعل من هذا عرضاً

مسرحيّاً للأشخاص الحاضرين، وألاّ ينشره عبر وسائل الإعلام؛ حتّى ولو بعد إتمام التّقسيم.

٤. الرّتبة الّتي يجب اتّباعها

٢٠– في رتبة التّقسيم، علاوة على صيغة التّقسيم بالذّات، يجب توجيه انتباه خاصّ للحركات والطّقوس الّتي تحصل أوّلاً، والّتي تجد معناها في ما يتطابق وزمن التّطهير في طريق الموعوظيّة: إشارة الصّليب، وضع اليدين، والنّفخ على المياه والنّضح بِها وقد تباركت.

٢١– تبدأ الرّتبة برشّ الماء المبارك الذي يذكّر بالتّطهير في العماد، والذي نحامي به عن المعذّب ضدّ مكايد العدوّ. يمكن تبريك المياه، قبل الرّتبة أو أثناءها أي قبل الرّشّ، كما يمكن مزجها بالملح تبعاً للمناسبة.

٢٢– ومن ثمّ تتلى صلاة الطّلبة، كي تحلّ رحمة الله على المؤمن المعذّب بشفاعة القدّيسين.

٢٣– بعد الطّلبة، بإمكان المُقسِّم أن يتلو مزموراً أو عدّة مزامير، طالباً حماية العليّ، ومشيداً بانتصار المسيح على إبليس. وتقال المزامير إمّا دفعةً واحدة، وإمّا بطريقة لازمة. أمّا وقد انتهى المزمور، فباستطاعة الكاهن أن يزيد صلاة على المزمور.

٢٤– بعد ذلك، يعلن الإنجيل كعلامة حضور المسيح، الذي بكلمته بالذّات المعلنة في الكنيسة يعالج عاهات البشر.

٢٥– بعدها، يضع يده على المُعذَّب، طالباً القوّة من الرّوح القدس ليخرج الشّيطان من ذلك الذي بالعماد غدا هيكلاً لله. في الوقت عينه يمكنه أيضاً أن ينفخ في وجه المعذَّب.

٢٦– بعدها، يُتلى قانون الرّسل، أو تُجدّد مواعيد العماد بالإيمان بيسوع المسيح والكفر بالشّيطان. وتُتبع بكلّ ذلك الصّلاة الرّبيّة حيث نطلب إلى الله أن يحرّرنا من الشّرّير.

٢٧– بعدئذ، يُري الكاهن المقسِّم المُعذَّب صليب الرّبّ ينبوع كلّ بركة وكلّ النِّعم، ويرسم إشارته عليه، دليلاً على قدرة المسيح على الشّيطان.

٢٨– ثمّ يقول صيغة استرحام يوجّهها إلى الله، وأيضاً صيغة آمرة يقسّم بها على الشّيطان مباشرة باسم المسيح ليخرج من الإنسان المُعذَّب. يجب ألاّ يستعمل الصّيغة الآمرة، إذا لم يكن قد تلا بعد صيغة الاسترحام. ويمكنه أن يتلو الصّيغة الإسترحامية من دون الصّيغة الآمرة.

٢٩– أمّا وأنّ كلّ الأشياء قد تمّت، فبالإمكان تكرارها عند الحاجة إمّا في الاحتفال نفسه، مع الأخذ بالحسبان بالتّعليمات انطلاقاً من العدد ٣٤، وإماّ في وقت آخر، إلى أن يتحرّر المُعذَّب تماماً.

٣٠– تُختتم الرّتبة بترتيلة شكر وصلاة وبركة.

٥. ملحقات

٣١– ليتذكّرنّ الكاهن المقسِّم بأنْ لا شيء يمكنه إخراج هذا النّوع من الشّياطين إلاّ الصّلاة والصّوم. وعلى مثال الآباء القدّيسين، يهتمّ قبل كلّ شيء باستخدام هذين الدّواءين، بقدر الإمكان، لطلب عون الله، إمّا بذاته، أو بواسطة الآخرين.

٣٢– يُنبَّه المؤمن المُعذَّب بأنّ يصلّي إلى الله قبل التّقسيم. وإذا كان ذلك مُستطاعاً، فليعكف على الإماتة، ويجدّد دوماً نعمة العماد التي قبلها، وليقبل سرّ المصالحة، وليستعِض قواه أغلب الأحيان بالقربان المقدّس. كما يمكن أن يساعده في الصّلاة أهله وأصدقاؤه ومُعرّفه ومرشده الرّوحي، إذا كانت الصّلاة تُقام بأكثر سهولة بحضور مؤمنين آخرين ومحبّتهم.

٣٣ – إذا كان التّقسيم ممكناً، فليجرِ في كنيسة صغيرة، أو في مكان لائق بعيد عن الجمهور، تتصدّره صورة للمصلوب؛ وبالإمكان وضع صورة للعذراء مريم في هذا المكان.

٣٤– أمّا وقد أصبحت الشّروط والإضافات تحت نظر المعذّب، فيستعمل الكاهن المُقسِّم، بملء حرّيته، الإمكانات المختلفة والمعروضة في الطّقس. وليحافظ، في الاحتفال على الهيكليّة المناسبة وخصوصيّات كلّ شخص.

أ- في بادئ الأمر، ليكن المُقسِّم متيقّظاً لحال المُعذَّب الجسديّة وحتّى النّفسيّة، ولتبدُّلات وضعه الممكنة في النّهار، وحتّى في السّاعة.

ب- عندما لا يكون هناك جماعة من المؤمنين حتّى ولا جماعة صغيرة، يطلب منها الكاهن المُقسِّم الفطنة والحكمة في الإيمان، ليتذكّر أنّ فيه وفي المؤمن المُعذَّب توجد الكنيسة. وليحمل المُعذَّب على تذكّر ذلك.

ج- ليستجمع المؤمن المُعذَّب أفكاره كليّاً أثناء التّقسيم. وليلتفت إلى الله وليطلب إليه الخلاص بإيمان ثابت وبكلّ تواضع. وإذا ما تضاعف ألمه يجب أن يتضاعف احتماله وصبره، من دون أن ينـزع ثقته من عون الله وخدمة الكنيسة.

٣٥ - وإذا بدا ممكناً قبول بعض الأشخاص المُنتَقين ليحضروا حفلة التّقسيم، فليطلب منهم أن يحافظوا على الرّصانة المطلوبة، وأن يصلّوا جاهدين عن نيّة أخيهم المُعذَّب، إمّا شخصيّاً، وإمّا بالطّريقة المُشار إليها في الرّتبة. يُمنع عليهم أن يتلفّظوا بصيغة تقسيم استرحاميّة أو آمرة، لأنّ هذه محفوظة للكاهن المُقسِّم.

٣٦- ينبغي على المؤمن المُحرَّر من عذابه، إمّا وحده، وإمّا بالإشتراك مع أحد من خاصّته، أن يشكر الله على السّلام الذي حصل عليه. وليداوم على الصّلاة مستقياً إيّاها من الكتاب المقدّس، وليواظب على أسرار التّوبة والقربان المقدّس، ولا يفوتنّه أن يحيا حياة مسيحيّة من أعمال رحمة ومحبّة أخويّة.

■ ثانياً: ميزات الرّتبة

توطئة تعليميّة

في هذه التوطئة، تعلّمنا الرّتبة أنّ الملائكة موجودون. بعضهم ثبتوا في خدمة التّدبير الإلهيّ ويساعدون الكنيسة دوماً، والبعض الآخر سقطوا وهم الشّياطين الذين هم أعداء عمل الله الخلاصيّ، ويعملون جاهدين كي يضمّوا الإنسان إلى عصيانهم لله.

يسمّى الشّياطين في الكتب المقدّسة بأسماء مختلفة: إبليس، الشّيطان، الحيّة القديمة، عدوّ البشر، قاتل النّاس، الشرّير، المجرِّب، الكذّاب وأبو الكذب، أمير هذا العالم، قوّة الظّلمة...

فالمسيح ابن الله قد انتصر على أعمال هذه الأرواح الشّرّيرة بسرّ موته وقيامته. وهكذا انتشلنا من عبوديّة الشّيطان والخطيئة وحرّرنا من سلطانه. ومع هذا لا تزال الحرب الشّرسة قائمة ضدّ قوى الظّلام عبر تاريخ البشر...

وتعلّمنا التّوطئة، أخيراً، بأنّ الكنيسة قد وعت عمل الشّياطين وضررهم الذي يمسّ الأشخاص والأشياء والأماكن، وبطرق شتّى. وقد صلّت، وما برحت تصلّي لكي يتحرّر البشر من أشراك إبليس.

١. في انتصار المسيح، وفي سلطان الكنيسة ضدّ الشّياطين

هذا الموضوع يتوزّع على خمسة مقاطع من ستّة وثلاثين تتألّف منها الرّتبة:

١- لقد خلق الله الصّالح كلّ المخلوقات المرئيّة واللامرئيّة صالحة؛ حتّى إبليس وسائر الشّياطين قد خلقهم صالحين.

٢- أساء الإنسان، تحت تأثير الشّرّير، إستعمال الحرّية، فوقع تحت سلطان الشّيطان والموت، وغدا عبداً للخطيئة.

٣- أرسل الآب ابنه يسوع لينتشل البشر من قوّة الظّلمات، وليدخلهم في ملكوته، ولكي يجعل منّا بآلامه وقيامته خليقة جديدة.

٤- بانتصار يسوع على المجرّب وطرده الشّياطين بسلطانه الخاصّ، حرّر من كانوا تحت سلطتهم.

٥- هذا الانتصار أتمّه يسوع بموته وقيامته.
بعد ذلك يرد مقطعان متعلّقان مباشرة بالتّقسيم:

٦- لقد أعطى يسوع رسله وتلاميذه السّلطان لطرد الأرواح الشّريرة. وبين العلامات التي ترافق المؤمنين، يحصي الإنجيل طرد الشّياطين.

٧- منذ أيّام الرّسل، مارست الكنيسة دوماً السّلطان الّذي قبلته من المسيح لطرد الشّياطين وإبعاد تأثيرهم. لهذا، فهي تصلّي دوماً وبثقة كي تنجو من الشّرّير[٤٩] وتأمر

٤٩- متّى ٦، ١٣.

دوماً، وباسم يسوع وبقوّة الرّوح القدس، الشّياطين بأنواع شتّى لئلاّ يقفوا حاجزاً أمام عمل التّبشير[٥٠].

٢. تقسيمات في مهمّة الكنيسة التّقديسيّة

٨- في وقت الموعوظيّة تُقال التّقسيمات الصّغرى ذات الشّكل البسيط، كي يتحرّر الموعوظون من نتائج الخطيئة وتأثير إبليس. وهذا يتمّ في الاحتفال بسرّ العماد للبالغين، إذ يكفرون بالشّيطان وبأعماله وبأعوانه. وهذا يتمّ أيضاً عند منح سرّ العماد للأطفال.

٩- إنّ الصّراع الرّوحيّ الذي على كلّ معمّد أن يخوض غماره ضدّ التّجربة وضدّ العدوّ، تذكّره به الرّتبة، وكذلك بالأسلحة الّتي عليه أن يستعملها: السّهر، والصّلاة، والزّهد في العيش، والإيمان، وعون الكنيسة، ونعمة الأسرار، ولاسيّما سرّ التّوبة. بهذا يمكنه أن يتوصّل إلى «ملء حرّية أبناء الله».

١٠- تتكلّم الرّتبة عن المضايقات الشّيطانيّة ووساوس إبليس لأحد أعضاء شعب الله، ينيره المسيح ليسير في النّور نحو الحياة الأبديّة. ولكنّ الشّيطان لا يمكنه أن يتخطّى الحدود المرسومة من الله. والكنيسة تضرع إلى المسيح المخلّص كي يمنح مساعدته للمؤمن المُضَايق.

١١- بين هذه المساعدات يُحصَى التّقسيم الكبير، وهو احتفال طقسيّ يهدف إلى طرد الشّياطين وإلى التّحرير من التّسلّط الشّيطانيّ بالسّلطان الرّوحي الّذي عهد به يسوع إلى كنيسته. يدخل التّقسيم في مجموعة أشباه الأسرار، أي «إنّه علامة مقدّسة تدلّ على مفاعيل روحيّة تحصل بقوّة السّلطان الذي للكنيسة».

١٢- في التّقسيمات الكبرى، تضرع الكنيسة إلى الرّوح القدس كي يأتي إلى نجدة ضعفنا[٥١] ليطرد الشّياطين، فلا يضرّون المؤمنين فيما بعد. وهي تعلم، لا باسمها، بل باسم الله أو باسم يسوع الرّبّ، من يجب أن يخضع له كلّ كائن حتّى إبليس والشّياطين.

٥٠- ١ تسالونيقي ٢، ١٨.

٥١- رومة ٨، ٢٦.

٣. في الخادم وفي الشّروط المطلوبة للقيام بالتّقسيم الكبير

١٣- يعود للأسقف المحلّيّ أن يأذن بمهمّة التّقسيم على المسكونين، إمّا بطريقة دائمة أو لحالة خاصّة.

١٤- تذكّر الرّتبة بالرّتبة القديمة، وبالحذر والفطنة اللذين على المُقسِّم أن يتحلّى بهما فلا يصدّق سريعاً بأنّ المؤمن هو مسكون، كما أنّه لا يردُّ كلّ شيء إلى علم النّفس. إنّ مؤلّفي الرّتبة قد لحظوا التّجربتين اللتين ترصّدان المقسِّم: تجربة تصوُّف خاطئ وغاشم، وتجربة نزعة نفسيّة جدّاً قصيرة. فبين الذين يرون الشّيطان في كلّ مكان والّذين لا يرونه في أيّ مكان، هناك خطّ الذّرى الضيّق، خطّ التّمييز الصّحيح المنوَّر بالوحي وبحكمة الكنيسة، خطٌّ تحاول مقدّمة هذه الرّتبة أن ترسم معالمه.

١٥- إنّ الذين يحسبون ذواتهم عرضة لرُقيَة مؤذية، أو مُجرَّبون من الشرّير، يجب ألاّ يُترَكوا من دون عون روحيّ. يمكن أن تُتلى عليهم بعض الصّلوات المناسبة كي يحصلوا على سلام داخليّ. وهذه يمكن لكاهن غير مقسِّم أن يتلوها، وقد يكون شمّاساً إنجيليّاً، طبعاً من دون أن يستخدم التّقسيم الكبير. ولكن، ما هي هذه الصّلوات؟ قد ورد بعضها في ملحق بالرّتبة، ولكنّ الأمر ليس مقتصراً عليها. يمكن تلاوة صلوات تقليديّة أو صلوات تؤلَّف في حينه.
المهمّ ألاّ يستعمل العلمانيّون ولا الكهنة ولا الشّمامسة الصّلوات الآمرة الموجودة في رتبة التّقسيم الكبير. بإمكان الكهنة والشّمامسة أن يستعملوا كلمات يأمرون بها الشّيطان أن يخرج من الأماكن الموجود فيها من دون أن يحسب الأمر تقسيماً.

١٦- هذا المقطع يعيدنا إلى ما ورد في المقطع ١٤ من الرتبة حول التّأكّد بفطنة وحذر من محاصرة الشّيطان للشّخص المعنيّ. ويعدّد العلامات التّقليديّة الّتي تشير إلى أنّ الشّيطان يضايق هذا الشّخص. ويُضاف إليها علامات أخرى من نوع أخلاقيّ وروحيّ.

١٧- يُنْصَح بأن يستعين الكاهن المقسِّم باختصاصيّين في الأمور الرّوحية؛ وعند الحاجة، بأطبّاء وعلماء نفس يُشهد لهم بأنّهم من المسيحيّين الملتزمين.

١٨- وإذا لجأ غير كاثوليكيّ إلى الكاهن المقسِّم، فليَعرض الأمر على الأسقف.

١٩- أخيراً، فليحرص الكاهن المقسِّم على أن يُتمّ إيمان الكنيسة، فلا يظهر تصرّفه وكأنّه ضرب من السّحر أو عرض مسرحيّ. وليحرص ألاّ يُنشر عمل التّقسيم عبر وسائل الإعلام.

٤. الرّتبة الواجب اعتمادها

نجد رتبة طقسيّة حقّة من المقطع ٢٠ إلى ٣٠. ومن الملاحظ أنّها على صلة بالطّقوس الّتي تواكب الموعوظين في سيرهم نحو العماد:

- الماء المُبارك (وعند الضّرورة ممزوجاً بالملح) الذي يحامي عمّن هو محاصر من الشّيطان ضدّ حيل العدوّ (عدد٢١).
- الطّلبة وتلاوة المزامير وفي نهايتها صلاة (عدد ٢٢-٢٣).
- إعلان الإنجيل (عدد ٢٤).
- وضع اليد (بواسطته، يطلب الكاهن القوّة من الرّوح القدس ليخرج الشّيطان من المعذّب) وعند الضّرورة النّفخ في وجه المعذّب (عدد٢٥).
- تلاوة قانون الرّسل، أو تجديد الإيمان بيسوع المسيح ثلاث مرّات (والكفر بالشّيطان) يتبع ذلك الصّلاة الرّبيّة التي بها نطلب من الله أبينا «أن ينجّينا من الشرّير» (عدد٢٦).
- يُري الكاهن الإنسان المعذّب الصّليب «الذي هو ينبوع كلّ بركة ونعمة»، ويرسم عليه إشارة الصّليب «التي تدلّ على قدرة المسيح على الشّيطان» (عدد٢٧).
- أخيراً، يأتي التّقسيم بحصر المعنى، وبه يطلب المقسِّم من الله أن يحرّر المسكون. وهذا التّقسيم هو صلاة «استرحام»، تتبعها عند الضّرورة صلاة «آمرة»، بها «يُقسِّم على الشّيطان باسم المسيح ليخرج من الإنسان المعذّب» (عدد ٢٨).

- يمكن إعادة هذه الصّلوات عند الحاجة في الاحتفال الواحد، أو في وقت آخر «إلى أن يتحرّر المعذّب تماماً» (عدد ٢٩). وهذا يفترض أن يكون التّقسيم صراعاً حقيقيًّا يدوم وقتاً فيقصر أو يطول. وهذا ما يستنتجه كلّ الذين أخذوا بعين الاعتبار هذه الخدمة ومارسوها.
- تُختتم هذه الرّتبة في مجملها وكلّ مرّة، بصلاة شكر وبركة (عدد ٣٠).

٥. ملحقات

إنّ كلّ تقسيم يفترض من قبل المقسّم «الصّوم والصّلاة» (عدد ٣١)، ومن ناحية المؤمن، على قدر استطاعته، مشاركة فعّالة بالصّلاة، تدعمها حياة أسراريّة وصلوات يقدّمها أقارب المؤمن (عدد ٣٢).

يُحتفل بالتّقسيم، إذا أمكن، في كنيسة صغيرة «بعيداً عن الجمهور»، وفي كلّ الحالات في مكان تُعرض فيه صورة للمصلوب وصورة للعذراء مريم (عدد ٣٣).

«يستعمل المقسِّم بحرّية» الطّقوس المتنوّعة والصّلوات المقترحة، مكيِّفاً إيّاها ووضع المريض، ومحافظاً على البنية المشار إليها في كتاب الطّقوس (عدد ٣٤).

وإذا اختير بعضهم، ودُعوا لحضور التّقسيم، «فليصلُّوا إمّا في سرّهم، وإمَّا حسب الرّتبة. ولكن ليمتنعوا عن كلّ صيغة تقسيم استرحاميّة أو آمرة محفوظة للكاهن المقسِّم» (عدد٣٥).

على المؤمن أن يشكر الله على تحريره، وأن يداوم على الصّلاة، وأن يحيا حياة مسيحيّة مثاليّة من أعمال رحمة ومحبّة أخويّة (عدد٣٦).

الفصل الخامس

عمل الشّيطان ومفاعيل التّقسيم وأخطاره

■ أوّلاً: العلامات الّتي تدلّ على عمل الشّيطان

١- العلامات الّتي تناهض الفضائل الإلهيّة

إنّ الأعمال الّتي تقاوم مباشرة الفضائل الإلَهيّة، تسمح لنا بأن نكتشف حضور الشرّير.

فالفضائل الإلَهيّة في جوهرها، تضعنا مباشرة في علاقة مع الله بواسطة الإيمان والرّجاء والمحبّة. ولمّا كان هدف الشّيطان إبعادنا عن الله، منذئذٍ نفهم جيّداً لماذا يعمل ما لا يُعمل حتّى يهدم فينا هذه الفضائل الثّلاث.

ولا غرابة في أنّ الشّيطان، يحاول، قبل كلّ شيء، أن يهدم هذه الفضائل في نفوسنا. فهو ذاته قد رفض الإيمان بالله. فلمّا ارتكب خطيئة الكبرياء، رفض أن يقوم بفعل إيمان وفعل تواضع، فيُخضع عقله وإرادته لله. فالشّيطان وملائكته ثاروا أمام فعل إيمان.

ليس هناك علامات محدّدة تشكّل لائحة بهذه العلامات، لا زيادة عليها ولا نقصان. ولكنْ يمكننا أن نشير إلى بعضها:

- **علامات ضدّ الإيمان**: شكّ لا يقهر، وتجديف ولا سيّما في وقت المناولة وفي الأماكن المقدّسة، وأفكار بذيئة حول العذراء مريم، وكره للمقدّسات وغيرها.
- **علامات ضدّ الرّجاء**: قطع الرّجاء من رحمة الله، وأفكار حول قطع الرّجاء لا توصف، مع ميول إلى الإنتحار...
- **علامات ضدّ المحبّة**: رفض محبّة الله، وحقد حادّ ومفاجئ ضدّ الله والكنيسة والبشر.

بين هذه العلامات، تبرز علامة قطع الرّجاء. فما أن تُمسّ فضيلة الرّجاء حتّى يضعف الإيمان وتتوقّف المحبّة.

بالرّغم من وضوح هذه العلامات، فإنّه ليس بإمكاننا أن نستنتج من خلالِها عمل الشّيطان بكلّ تأكيد. فعلم النّفس يعلّمنا بأن هذه العلامات يمكن أن تنتج عن عامل نفسيّ، وأنّ وجود مجموعة منها هو ضروريّ لنؤكّد وجود الشّيطان. والعلامات من فئة معيّنة ليست كافية للدّلالة على عمل الشّيطان.

٢- العلامات الّتي تعارض نعم الرّوح القدس وثماره

الشّيطان هو الرّوح الدجّال بامتياز. إنّه يعمل ما لا يُعمل ليقف في وجه نعم الرّوح القدس وثماره. في الواقع، إذا سكن الرّوح القدس قلبنا، يمكننا آنذاك أن نستنتج حضوره من ثماره. كما أنّنا، إن كنّا في حال الخطيئة المميتة، يمكننا أيضاً أن نستنتج ثماره التاعسة البائسة.[١]

إنّ ثمار الرّوح هي ثمينة للغاية لتمييز عمل الشّيطان. في الواقع، إنّ الرّوح الدجّال، يقاوم بصورة منتظمة هذه الثّمار، وبنوع خاصّ الفرح والسّلام الدّاخليّ، الّتي هي فينا علامة اتّحادنا بالله ومحبّتنا له وللقريب. إنّه يستخدم كلّ الوسائل، محاولاً أن يخضّ النّفس ليبعدها عن الله، أو أقلّه أن يعيق من تقدّمها في معارج الاتّحاد به.

إنّه «الكذّاب وأبو الكذب»[٢]. والاضطراب هو أوّل ما يستعمله الشّيطان ضدّ النّفوس التي تبغي التّقدّم في طريق الكمال؛ فيغطّي الشرّ بغطاء الصّلاح. وكي يؤمّن له فرص النّجاح، يرتكز على ميول النّفس ورغباتِها بإعطائه الشرّ مظهر الخير الرّوحي الذي تبتغيه. فالقدّيسة تريزيا تحدّثنا عن أعمال تواضع خاطئة يوعز بها الشّيطان، فتشُلّ النّفس وتبعدها عن الكمال.

إنّ هذه المقاومات لثمار الروح لهي علامات عديدة لحضور الشّيطان... وهي مهمّة لتأكيد التّأثير الشّيطانيّ.

١- غلاطية ٥، ١٦-٢٤.

٢- يوحنّا ٨، ٤٤.

٣- العلامات الّتي تعارض الفضائل الأخلاقيّة

يحاول الشّيطان أن يزعزع الاتّزان الأخلاقيّ عند الشّخص البشريّ، بحثّه على عمل الرّذيلة. إنّه يحاول هدم النّظام الأخلاقيّ لأنّه يعرف أنّ الاتّحاد بالله يقتضي، أقلّه، تصرّفاً إنسانيّاً يتوافق مع الفضائل الأدبيّة. وعليه، فإنّه يستخدم حيلاً متنوّعة ليوقع النّفس في الخطيئة. وعندما يفشل، يعمل ما لا يُعمل ليزعزعها فارضاً عليها تجارب غريبة لا تُفسَّر.

فعلامات النّظام الأخلاقيّ ليست كافية بحدّ ذاتِها لتمييز التّأثير الشّيطانيّ، لأنّها قد تكون نتيجة مرض نفسيّ أو جسديّ.

٤- العلامات الجسديّة والنفسيّة

هذه العلامات هي أوّل ما يشكو منه الأشخاص الذين يقصدون الكاهن. وهي علامات، مهما عظم قدرها وطال زمنها، يصعب تفسيرها وفكّ رموزها بشريّاً. إنّها تحتلّ مركزاً مرموقاً في العهد الجديد[٣].

إنّ النّصوص الإنجيليّة، تحملنا على التّفكير بأنّ عمل الشّيطان النوعيّ، إنّما يعرف من علامات جسديّة وعلامات نفسيّة. بينما تعليم القدّيس بولس والقدّيس يوحنّا، يدلاّن على أنّ عمل الشّيطان هو في الصّراع النّفسيّ الدّاخليّ.

■ ثانياً: التّأثير الشّيطانيّ

لا يعامل الشّيطان كلّ الأشخاص بالقوّة نفسها. من هنا ، فإنّه من الأهمّية بمكان التّمييز بين الصّراع الرّوحي العاديّ ضدّ الشّيطان، وبين ما يتعلّق بالصّراع الغريب الّذي يفوق كلّ تصوّر. هذا الصّراع الغريب تدلّ عليه أوجاع لا تُطاق، ولا تعرف أسبابُها، ولا يتمكّن العقل البشريّ من شرحها. إنّ لَفي هذا تعذيباً شيطانيّاً يرتدي حدّة تتنوّع بتنوّع الحالات.

إنّ الكهنة المقسّمين يتّفقون على الحالات التّالية:

٣- متّى ٩، ٣٣-٣٤؛ لوقا ١٣، ١٠-١٧؛ مرقس ٥، ١-٢٠.

١– **التّجارب**: التّجربة فكرة تحتلُّ منّا الرّوح، وتحثّنا على ارتكاب الإثم. فالتّجارب ليست كلّها شيطانيّة. في الواقع، إنّ الشهوات التي تستحوذ علينا، ورغباتنا الشرّيرة ورذائلنا، تتسبّب بعدد كبير من التّجارب التي لا تأتي فقط من الشّيطان. بينما هناك أخرى، وهي تلك التي تصدر فقط عن الشّيطان... فهو يشحذ تذكّر اللّذات الممنوعة... ويعمل جاهداً ليجرّبنا ويوقعنا في الخطيئة. ويحاول أن يقلب ميزان القيم، وذلك بأن يعرض علينا الشّر خيراً والخير شرّاً.

٢– **الوسواس الشّيطانيّ**: ليست النّفس عرضة للتّجارب، بل هي تحت سيطرة الشّيطان. وهذا الوسواس يعمل بطرق متنوّعة:

– يعطّل، عند الإنسان، استعمال قواه العقليّة بحرّية.

– يعذّب الجسد، ويجعله يشعر بآلام مبرّحة.

– يدفع إلى الشرّ بحِيَل بشعة.

ويحاول أن يشوّش الشّخص، وأن يحمله على اليأس، وأن يثبّط عزيمته، وأن يعيق سيره، وأن يحطّ من معنويّاته.

إنّه يستحيل وصف هذه الوساوس بشريّاً. إنّها تعذّب النّاس وبطريقة غريبة، وتحمل على السّخرية من كلّ ما هو دينيّ. وبالتّالي، فإنّها تنزع السّلام والفرح الدّاخليّين، ثمرتي الرّوح القدس.

٣– **المضايقة الشّيطانيّة**: تحدث هذه المضايقة عندما يستعمل الشّيطان تأثيراً خارجيّاً على الشّخص، كأنْ يُحدِث أضراراً في صحّته وفي ممتلكاته، كما حدث لأيّوب أو لبعض القدّيسين المعاصرين كخوري أرس Saint Curé d'Ars أو الأبّ بيّو Saint Padré Pio.

٤– **التّلبيس الشّيطانيّ**: وهذا مختصّ بالأشياء والأماكن، والبيوت، والحيوانات، والأواني. يتلبّس الشّيطان هذه الأشياء كي يستطيع أن يحدث الضّرر وهو في الخفاء

٥– **المسّ الشّيطانيّ**: يحدث هذا المسّ عندما يعمل الشّيطان من داخل الشّخص ويحرمه، جزئيّاً أو كليّاً، من استخدام حرّيته مثل أخرس الإنجيل[٤].

٤– متّى ٩، ٣٢.

فالشّيطان، في هذه الحال، لا يمنع الإنسان من استعمال قواه، بل يتكلّم ويعمل بواسطة الممسوس من دون أن يدري، ومن دون أن يتمكّن من منع الشّيطان من ذلك.

فالشّيطان الذي يسكن في الإنسان، يعمل أعماله الشرّيرة من الدّاخل لأنّه يسكن حقّاً في جسد الذين يمسّهم.

٦- **الخضوع للشّيطان:** إنّ إنساناً هو عبد للشّيطان عندما يفتح نفسه للشّيطان، فيكرّسها له ليملك ويسود عليها.

■ ثالثاً: يسوع لم يقسّم على كلّ النّاس

لقد قسّم يسوع على حالات محدودة. لهذا على المقسِّم أن يعلم أنّ أشخاصاً عديدين، يأتونه على أنّهم يتألّمون. غير أنّه لمهمٌّ جدّاً ألاّ يتجاوب معهم بسرعة فيقسِّم عليهم. فإنّ عدداً منهم لا يُستهان به ليسوا مرضى سوى بخيالِهم.

وإذا كان على المقسِّم الكاثوليكيّ ألاَّ يُسرع فيقسِّم، فعليه ألاَّ يُرسل الأشخاص الوافدين عليه مزوِّداً إيّاهم بكلمات حلوة، بل ليتنبّه على أنّ الشّيطان يختبىء في مثل هذه الحالات. فليسمع لَهم كي يكشف حضور الشّيطان فيهم، وليتدخّل إذا تبيّن له عمل هذا العدوّ. وعندما لا تظهر له الأمور بجلاء ويسيطر الشرّ، ينصح الوافد إليه في غالب الأحيان، أن يذهب إلى طبيب نفسانيّ. وفي غيرها من الحالات، ينصح الشّخص بأن يعتمد أوّلاً الوسائل الرّوحية العاديّة: اللجوء إلى الصّلاة، وقبول الأسرار، وممارسة التّواضع وعيش المحبّة.

■ رابعاً: صلاة النّجاة والتّقسيم

بإمكان كلّ شخص من شعب الله أن يصلّي صلاة النّجاة. فلمّا علّمنا الرّبّ يسوع الصّلاة الرّبّية، علّمنا صلاة النّجاة: «نجّنا من الشرّير». وكلمة الشرّير تعني الشرّ بنوع عامّ، وتعني الشرّير بالتّخصيص.

إنّ صلوات النّجاة هي صلوات استرحاميّة بها نتضرّع إلى الرّبّ يسوع ونتشفّع العذراء مريم والقدّيسين والملائكة كي ينجّونا من الشّياطين.

هذا في صلاة النّجاة. أمّا في رتبة التّقسيم، فعلاوة على صلوات النّجاة، ينتهر المقسِّم الشّياطين بصيغة الأمر. لهذا تسمّى هذه الصّلاة، الصّلاة الآمرة. فهذه الصّلاة تشكّل خطراً على صاحبها لأنّه بها يهاجم الشّيطان. فهو بحاجة إلى حماية خاصّة من الكنيسة، أي من الكاهن الذي فوّضه الأسقف ليصلّيها.

لهذا، لا يقوم بالتّقسيم إلاّ كاهن مفوّض صراحة من أسقفه. هو وحده، وقد دُعي مقسِّماً، له السّلطان أن يأمر الشّيطان بأن يخرج من شخص معيّن أو من شيء ما. هذا لا يعني أنّه ليس بإمكان المؤمنين الاعتصام بالصّلاة، لكي ينجّيهم الرّبّ من الشّيطان، وقد علّمنا يسوع ذلك[٥]. وهنا على الرّعاة الإفادة من الظّرف ليذكّروا المؤمنين بتعليم الكنيسة التّقليديّ حول العون الذي تقدّمه الأسرار، وليذكّروهم بأن يطلبوا شفاعة السّيدة العذراء والملائكة والقدّيسين في الصّراعات الرّوحية ضدّ الأرواح الشرّيرة.

لصلوات النّجاة أشكال متنوّعة: الصّلاة الرّبّية، وتلاوة المسبحة وهي فعّالة، وتلاوة الطّلبات. ففي طلبة القدّيسين، نطلب من الله أن ينجّينا من تأثير قوّات الظّلام تحت كلّ أشكالها.

وفي الواقع، إنّ الصّلوات إلى الله بحرارة، والقيام بالأعمال التّقويّة من صوم وصدقة ومحبّة، يمكنها أن تغدو صلوات نجاة. إنّ فعاليتّها تتعلّق بتلاوتِها بحرارة وبدون ملل. فلنتذكّر دوماً كلمات يسوع الّتي قالَها لنا: «إنّ هذا النّوع من الشّياطين لا يُطرد إلاّ بالصّوم والصّلاة».[٦]

■ خامساً: علامات تحدّد حضور الشّيطان أثناء التّقسيم

يتحقّق المقسِّم، ويتأكّد من تأثير الشّيطان على المريض، من عدّة علامات غير ثابتة ومتنوّعة، منها: إضطرابات في الإنتباه، وتعب مفاجئ وغامض، وشعور حادّ بالحرارة والبرودة، ونَفَسٌ لا يقاوم، واختلاجات قلبيّة، وصعوبة في التنفّس وشعور بالاختناق، وكآبة مفاجئة، وميل إلى التّقيّؤ، وشعور بطعنات خنجر، واضطرابات لا تقاوم، وأوجاع

٥- متّى ٦، ١٣.
٦- مرقس ٩، ٢٩.

مؤلمة، وأوجاع رأس، وعنف كلاميّ وجسديّ، وعداوة للصّلاة وللمقسِّم... فلا غرابة في الأمر، فالشّيطان عندما يُطرد يُظهِر كلّ غضبه.

إنّ كتاب التّقسيم للكنيسة الكاثوليكيّة الصّادر سنة ١٦١٤ قد لحظ هذه الظّواهر، وقدّم ملاحظة في ما يختصّ بالنّساء! «إنْ كان الكاهن يقسِّم على امرأة، فليرافقه أشخاص مشهود لهم بالفضيلة لكي يمسكوا بالمرأة المسكونة في الأوقات الّتي يخضّها فيها الشّيطان. وإذا كان بالإمكان فليكونوا من أهلها وذويها».

إنّ مجمل العلامات قد تكون عنيفة جدّاً، ما يحمل المقسِّم على اتّخاذ الحيطة على أنواعها ليحمي نفسه ويحمي الشّخص المقسَّم عليه. لهذا، وفي بعض الحالات، يحيط ذاته بأشخاص موثوق بهم ويتمتّعون بحياة روحيّة صلبة ليتمكّنوا من مساعدته.

وهذه العلامات هي أكثر أو أقلّ عنفاً حسب الأشخاص. ومن بينها يمكننا أن نحصي أقوالاً للشّيطان يتلفَّظ بها المسكون. إنّ هذا ليس مألوفاً، ولكنّ الكنيسة تعرف حالات حيث الشّيطان يتكلّم... فيأمره الكاهن بأن يصمت... وهناك أسئلة من الضّرورة أن يطرحها المقسِّم على المريض: إسم الأرواح، وعددها، وزمن دخولِها، وأسباب الدّخول...

■ سادساً: هل يغادر الشّيطان المريض بسهولة؟

هناك أشكال ينجو منها المريض بواسطة التّقسيم، وهي على أنواع:

أحياناً، يكفي أن يُقسّم على المريض مرّة واحدة، أو عدّة مرّات، فينجو الأشخاص المعذّبون نِهائيّاً من الشّيطان. وهذا ينسحب أيضاً على الأماكن والأشياء والممتلكات.

ولكنّ الأشخاص الذين يصارعون لا يتحرّرون كلّهم نِهائيّاً، فالشّيطان يغود مع سبعة آخرين شرّاً منه[٧]. لهذا، وفي نهاية النّجاة الأولى، فليُطرح السّؤال: هل هذا نِهائيّ؟ ألا يعود الشّيطان؟ وعلى المقسِّم أن ينبّه مَن يكون قد نجا، على أنّ الشّيطان قد يعود. وهذا التّنبيه، يساعد المريض على ألاّ يستسلم إلى قطع الرّجاء، أو أن يعتقد بأنّ التّقسيم لم ينفع، وأنّ عليه أن يلجأ إلى وسائل أخرى. وليعلم المقسِّم والمريض معاً، أنّ الصّراع لم

٧- متّى ٩، ٢٤.

ينتهِ وأنّ الشّيطان قد يعود. فالتّقسيم هو معونة من الكنيسة. إنّه لا يحلّ محلّ الصّراع الرّوحي الّذي يجدر بالنّاجي أن يواصله حياته كلّها.

إنّ عند العديد منّا أبواباً مفتوحة يدخل منها الشّيطان، وهي مواطن ضعف تدلّ عليها نقائصنا البشريّة، والّتي علينا أن نعمل على نزعها وإلاّ لا نفع للتّقسيم. فالتّقسيم ليس عملاً سحريّاً، والمقسِّم لا يقوى على شيء، إنْ لم يساعده المريض في الدّخول حقّاً في صراع روحيّ ضدّ قوى الظّلام. مع العلم أنّ الشّيطان يبذل جهده كي يقنع المريض بألاّ يلجأ إلى التّقسيم. إنّه يخاف التّقسيم. لهذا، على المريض ألاّ يصارع منفرداً، بل ليطلب معونة الكنيسة.

يساعد التّقسيم على كشف أمير الظّلام، كما أنّه يخفّف مؤقّتاً من آلام الشّخص المعذّب من الشّيطان. هنا يجب التّمييز بين الّذين يجرّبَهم الشّيطان والّذين يتألّمون من أمراض نفسيّة. وعلى نوع العذاب يتوقّف نوع الوسيلة الّتي يجب أن تُستعمل. وينتج عن فعاليّة التّقسيم ما يلي:

أ– التّقسيم هو ينبوع نِعَم في الصّراع ضدّ قوّات الظّلمة. وهو فعّال.

ب– لا يكون الشّخص منهكاً ولا مغلوباً بسبب التّقسيم، بل يضحي قويًّا بما فيه الكفاية ليجبه الصّراعات الجديدة.

ج– يفتح التّقسيم الشّخص على محبّة الله والآخرين.

د– وما هو بشريٌّ فوق قوانا يغدو في الوقت عينه قوّة ووداعة، حكمة وبساطة، توبة وفرحاً.

يُزاد على هذه العلامات ثلاث علامات أخرى تسمح لنا أن نتبيّن تقدّم النّفس في هذا الصّراع ضدّ قوّات الظّلام، ألا وهي: محبّة زائدة لمريم العذراء، وإكرام للقربان المقدّس، وتواضع حقٌّ.

■ سابعاً: حال الشّخص بعد التّقسيم

إنّ العلامة الجوهريّة هي تبدُّل الشّخص إبّان التّقسيم وبعده. وهذه العلامة تظهر في الإنجيل في غاية الوضوح. إنّ المسكون يعود إلى حالته الطبيعيّة الأولى: «الصبيّ المصاب بالصّرع»[8].

ونتيقّن من هذا التّبدُّل، إذ نستنتج أنّ الشّخص تغيّر بانتقاله من اليأس والرّغبة في الانتحار إلى الإيمان وفرح الرّجاء، ومن الحنق الشّديد إلى الحنان والمحبّة، ومن ضعف في الإرادة والإنتقال إلى إرادة فعّالة لعمل الصّلاح، ومن الوجع الجسديّ والنّفسيّ إلى صحّة النّفس والجسد. «فالشّجرة تُعرف من ثمارها».

لا يفعل التّقسيم فعله، مثلما تفعل أسرار الكنيسة. إنّ النّتيجة المرجوّة إنّما نحصل عليها بواسطة صلاة المقسِّم. وقد يصل الأمر بأن نحصل بالصّلاة على ما لا نحصل عليه بدونها.

■ ثامناً: أخطار التّقسيم

لا يتعلّق التّقسيم بالسّحر إطلاقاً. ولكنّه يقوم، باسم الرّبّ يسوع، بطرد الشّياطين من الأشخاص. ولا يتمّ هذا من دون أخطار تُهدّد الذين يطلبون التّقسيم. والكاهن المقسِّم وغيرهم من النّاس.

١. الأخطار الّتي تُهدّد المُقسَّم عليهم

أ- التّفتيش عن الخوارق

إنّ التّفتيش عن الخوارق يشكّل الخطر الأوّل للذين يطلبون التّقسيم، إذ يرون أنّ التّقسيم هو ذو ميزة خارقة تشبه الأعجوبة. وهذا الخطر غدا، في أيّامنا، مخيفاً لأنّه يباع بأثمان باهظة. في كلّ العصور، كان الإنسان يفتّش عن الخوارق، ولكنّ الأمر قد تزايد في أيّامنا، بحيث كثر الانشغاف بالباطنيّة والتّأثيرات الخفيّة. من هنا، يجب ألاّ يُخلَطَ بين التّقسيم والقوى الخفيّة.

ومن الغرابة بمكان، أن نقع بسهولة في شباك الشّيطان من خلال محاربته.

٨- لوقا ٩، ٣٧-٤٣.

من هنا، يجب اللجوء إلى التّقسيم بكلّ تواضع، بعد أن نكون قد استنفدنا كلّ الوسائل البشريّة والدّينيّة.

وعليه، إنّ الخطر الأكبر يقوم بتحويل التّقسيم إلى ممارسة خرافيّة. فلا يعود التّقسيم عمل إيمان ورجاء ومحبّة لله، بل دواء عجائبيٌّ وعمل خرافة وسحر.

٢- التّخلّي عن المسؤوليّات والانخداع بالعدوّ

هذا الخطر الثّاني هو شائع وخَطِرٌ مثل الأوّل. فكم من المرّات نسمع من نساء أو من رجال بأنّ القرين مسكون، لأنّه ترك المنزل الزّوجيّ مع شخص آخر، من دون أن يكون هناك أيّ خطأ من قبل الطرفين، وهذا بالغ الخطورة.

ويغدو الخطر أقوى، عندما ننسب كلّ التّعاسات الّتي تصيبنا إلى تأثير كريه سبّبُه الجيران وحتّى الأقارب والّذين يغدون أعداء لنا لسنين عديدة. من هنا، فإنّ مهمّة المُقسِّم الأولى هي أن يخلّص النّاس من الخوف. نعم، إنّ السّحر والشّعوذة موجودان. ولكن، من دون تغطية هذه الحقيقة، فلنعلم أنّ دور المقسِّم هو وضع الشّخص أمام مسؤوليّاته الذّاتيّة والمهنيّة.

إنّ التّخلّي عن المسؤوليّات، والإنخداع بالأعداء، هما تجربتان خطيرتان وعاديّتان. فبعد أكل الثّمرة المحرّمة، اتّهم آدم حوّاء، وهذه بدورها اتّهمت الحيّة: لا أنا، بل الآخر. وهكذا، بدل أن يرجع الإنسان إلى ضميره، ويتصرّف بتواضع أمام الله بإقراره بضعفه، يهرب من أمام مسؤوليّاته، ويقع في شباك الكبرياء. فبدل أن نقف في وجه أعدائنا الثّلاثة: العالم والشّيطان، ولاسيّما الجسد، يجدر بنا أن نفتّش عن أعداء غير موجودين إلاّ في مخيّلتنا. في هذه الحالة، ينجح الشّيطان في إبعادنا عن الصّراع الرّوحي الحقّ.

٣- الصّدمة الّتي يحدثها التّقسيم

إنّ مفردات في التّقسيم، من شأنها أن تُحدث اضطرابات في نفوس ضعيفة. فليحذر المقسِّم ألاّ يضطّرب المريض، بل لِيعمل على تَهدئة النّفس وعلى تزويدها بالسّلام والهدوء.

٢. أخطار تُهدّد المقسِّم

إنّ أوّل خطر يهدّد المقسِّم هو أن يُخدع. إمّا أن يأخذ المرض النّفسيّ على أنّه سَكَنٌ من الشّيطان والعكس صحيح، وإمّا أن يكون في الحالتين سريع التّصديق. طبعاً، هو لا يمنع أيّة مساعدة روحيّة عن الملتجئ إليه، ولكن لا يستعمل التّقسيم. فبإمكانه أن يتلو على الشّخص الذي يقصده صلوات من شأنها أن تمنحه سلام الرّبّ. وهذا بإمكان أيّ كاهن أو شمّاس إنجيليّ أن يقوم به.

فلا يَقدِمنّ الكاهن المقسِّم على الاحتفال بالتّقسيم، ما لم يكن متأكّداً من أنّ الشّخص الذي يقَسِّم عليه هو فعلاً مسكون من الشّيطان.

ومن المفضّل أن يحيط نفسه بفريق موثوق به مؤلّف من أطبّاء، وعلماء نفس، ولاهوتيّين ذوي اختصاص بالحياة الرّوحيّة.

يقوم الخطر الثّاني بالخلط بين الشّيطان والتّجارب في الحياة الرّوحية. وقد يتعرّض المقسِّم إلى أذيّة جسديّة. كما أنّه، وقد انتصر على الشّيطان وطرده، قد أضحى عرضة للمشاوفة والوقوع في الكبرياء. لِهذا، ينبّه يسوع من هذه الآفة بقوله: «سوف تقولون لي في ذلك اليوم، ربّنا ربّنا إنّا باسمك طردنا الشّياطين... أقول لكم عندئذٍ وعلانيّة... ما عرفتكم قطّ إليكم عنّي أيّها الفاسقون»[٩].

في يومنا هذا، لا يقوم الصّراع ضدّ الشّيطان إلاّ بتقوية الإيمان بيسوع المسيح. إنّه من الخطر بمكان أن نلفت الإنتباه إلى الشّيطان، وأن نشيح بنظرنا عن يسوع المسيح.

وحذارِ أن نضع الله والشّيطان على مستوى واحد، أو أن نجعل علاقة الشّيطان معنا تساوي علاقتنا بالمسيح. ولا نجعل التّقسيم في العماد مثل التّقسيم على المسكونين، باعتبار أنّ هناك فارقاً جوهريّاً بين الحالة الأصليّة قبل العماد وحالة المسكون.

٩- متّى ٧، ٢٢.

القسم الثّـاني

التّقسيم في مخطوطات بكركي
وفي المجامع المارونيّة

مقدّمــة

إنّ انكبابنا على دراسة مخطوطاتنا المارونيّة الموجودة في بكركي، والعمل على وصفها في ثبت منطقيّ طُبع في ١٩٧٣و ١٩٩٩، وإنّ عثورنا على رتب للتّقسيم في أكثر من واحد منها، استُخدمت في كنيستنا: منها رتبة التّقسيم على المسكونين، وإحداها رتبة التّقسيم على المعقودين أي الذين لم ينجبوا أولاداً، وأخيراً رتبة تعطى فيها درجة من الدّرجات الصّغرى لمن سيخوّله الأسقف بأن يكون كاهناً مقسّماً، إنّ كلّ هذا دفعنا إلى أن نُتبع دراستنا للتّقسيم بهذا القسم الّذي سنتناول فيه دراسة هذه الرّتب.

من هذه الدّراسة، يتبيّن لنا أنّ الزّمن الذي تناولت فيه المخطوطات رتبة التّقسيم يمتدّ من أوائل القرن السّابع عشر إلى أوائل القرن التّاسع عشر، أي ما يقارب مئتي سنة. إنّ بعض هذه المخطوطات يتناول الموضوع مطوّلاً: شروط التّقسيم، وصفات المقسِّم، ورتبة التّقسيم... وبعضها الآخر يحتوي على صلوات تُتلى على المصروع (كذا)، أو على حالة من الحالات التي يوجد فيها المريض.

يبلغ عدد المخطوطات التي ورد فيها التّقسيم، ستةّ مخطوطات. وقد اختيرت من الثّبتين المنطيقيّين اللذين يحتويان مخطوطات بكركي: المخطوطان ٣٤ و ٣٥ من الثّبت المنطقيّ الأوّل[١]، والمخطوطات ١٢، ١٦، ٢٢، ٢٣، من الثّبت المنطقيّ الثّاني[٢] لن ندرسها كلّها، بل سنختار منها ثلاثةً، تُغني عن دراسة البقيّة الباقية:

فالأوّل يتحدّث مطوّلاً عن التّقسيم، وهو الأقدم، إذ يرجع إلى القرن السّابع عشر (١٦٣٩) عدد ٢٢.

١– عبده خليفة وفرنسيس البيسري، ثبت منطقيّ لمخطوطات بكركي القسم الأوّل، بيروت ١٩٧٣.

٢– فرنسيس البيسري، ثَبت منطقيّ لمخطوطات بكركي القسم الثّاني ، ١٩٩٩.

والثّانية تتكلّم عن درجة المقسّمين، وهي درجة تُمنح قبل الشّدياقيّة (١٦٥٤) عدد ٥٤.

لا نريد التّأكيد بأنّ التّقسيم ورد حصراً في هذه المخطوطات دون غيرها.

والثّالثة تتناول التّقسيم على المعقودين، أي المتزوّجين الذين لم ينجبوا (١٧٢٠) عدد ٣٤.

الفصل الأوّل

رتبة التّقسيم على المسكونين

(المخطوط ٢٢، سنة ١٦٣٩)

■ أوّلاً: عرض عامّ لمضمون المخطوط

١. تقديم المخطوط

يحمل هذا المخطوط العنوان الآتي: «شرح قانون التّقسيم على الشّياطين». يوجد في الثّبت المنطقيّ الثّاني لمخطوطات بكركي، تحت الرّقم ٢٢. ورقه عاديّ– غلافه من الكرتون المغطى بالجلد الأسود– الحبر أحمر وأسود– الخطّ سريانيّ عربيّ–كرشونيّ– عدد أوراقه ١٠٥– ناقص في آخره – القرن السّابع عشر، (١٠٤ × ١٤٧) ملم (١٠٩ – ٧٥) مم ؛ ١٥ سطراً في الصّفحة.

٢. مضمون المخطوط

يتألّف هذا المخطوط من ثلاثة أقسام:

- القسم الأوّل: تقسيم على الشّياطين.يقع في الأوراق من ١ إلى ٥٠
- القسم الثّاني: كتاب المسحة.
- القسم الثّالث: كتاب العماد.

ما يهمّنا في موضوعنا، إنّما هو القسم الأوّل: تقسيم على الشّياطين. وهو يتوزّع على خمسين ورقة. يبتدئ كما يلي: «نبتدي نكتب شرح قانون التّقسيم على الشّياطين... أمّا نهايته فهي: ... نصلّي ونتضرّع إليك يا الله... إنّ روح الإثم لا يكون له بعد قوّة على هذا عبدك...»

يشتمل هذا القسم بدوره على قسمين: شروط التّقسيم ورتبة التّقسيم، يتبعه ثلاث رتب للتّقسيم أقصر من الأولى وصلوات ومزامير في الموضوع عينه.

٣. شرح قانون التّقسيم على الشّياطين[1]

- يجب عليه (الكاهن المقسِّم) أن يكون طاهراً في ذاته حتّى لا يفتخر في نفسه ويتعظّم.
- لا يشارط على أجر.
- لا يقصد مجد باطل.
- حينئذٍ يبدأ في هذا الفعل العظيم بالمحبّة والتّواضع وفي قوّة الله.
- يجب أن يكون كاملاً في عقله.[2] (عدد١)
- لا يصدّق بالسّهولة من كان أنّه معذّب من الشّياطين حتّى يبان له فيه هذه العلامات التي يميّزوا بين الصّفراوي والسّقوط وباقي جنس المرض الذي يشغل عقل الإنسان.
- إذا رأيت المريض يتكلّم في ألسن غريبة غير مفهومة، أو بيفهم المقسّم حين يتكلّم المضطرب في لسان غير مفهوم.
- إذا بان أو ظهر شيئاً مخفي أو علامة من المريض مفعولات في مواضع بعيده.
- وقتاً يَبان من المريض أنّ فيه قوّة من طبعه أقوى من طبيعة إنسان كبير، يعني إذا كان طفل صغير وعلامات كثيرة تبيّن مثل هذا الفعل (عدد٢).
- يجب عليه أن يسأل المعذَّب بعد التّقسيم الأوّل أو الثّاني، ويقول له كيف ترى حالك في هذه السّاعة إذا كنت أقسِّم عليك؟ حتّى يبان للمقسِّم من أيّ كلام يفزع الشّيطان حتّى المقسِّم يكرّر عليه هذا الكلام أمراراً كثيرة (عدد٣).

١– فرنسيس البيسري، ثبت منطقيّ لمخطوطات بكركي القسم الثّاني، بيروت ١٩٩٩. نقلنا المخطوط من الكرشونيّ إلى العربيّ بتصرّف، إذ يصعب أحياناً قراءة الكلمات الّتي تأكّلها العثّ. كما أنّنا قسّمنا النّصّ ووضعنا عناوين للأقسام. تجدر الإشارة بأنّنا أبقينا على لغة المخطوط العاميّة.

٢– إنّ الأرقام الموجودة في آخر المقاطع هي من وضعنا: وقد رقّمنا المقاطع لنسهّل دراسة المخطوطة.

- حينئذٍ يجتهد المقسِّم يعرف حيلة الشّيطان لئّلا يغشّه في طغيانه لأنّ الشّياطين يعطوا جواباً هيّن، وما يظهروا إلاّ بالعسر والغصب حتّى يجبروا المقسِّم إلى أنّه يترك التّقسيم أو يبان أنّ المريض ليس هو مضروب من الشّيطان بعض الأوقات، لمّا يظهر وجودهم في جسد الإنسان يخفوا ذاتّهم، ويتركوا المضروب كالمعافى بغير مرض حتّى المريض يحسب أنّه طاب منه مرضه. ولكن ما يليق أنّ المقسّم يبطّل عنه حتّى يبان له علامات العافية ظاهراً. وأيضاً بعض الأوقات الشّياطين يعملوا بكلّ قوّتهم حتّى المريض لا يريد أن يتقسّم عليه، ويبان له أنّ وجعه خارج من طبيعته، وبعض الأوقات ينسّوا المريض ويرقّدوه في نصف التّقسيم ويظهروا له رؤيا حتّى يقوم المريض كالمعافى (عدد ٤).

بعض الأوقات الشّياطين يبيّنوا التّعزيم والّذى عزّم على المضروب وفي أي شيء يحلّ التّعزيم، لكن يتحضرّ المريض أنّه لا يقاف على يد المعزّمين أم عند الحاويّين أم عند المزخرفين أو غير ذلك بل يعتقد في الكنيسة وخدامها فقط. (عدد ٥).

وبعض الأوقات الشّيطان يترك المريض حتّى يستريح ويهدأ من وجعه ويعترف ويتقرّب ويبان له أنّ الشّيطان خرج منه وحينئذٍ أخيراً إنّ صنايع الشّيطان وطغيانه غير محصيّة. لأجل هذا يجتهد المقسِّم لئّلا الشّيطانُ يزهده ويبطله عن التّقسيم (عدد ٦).

لأجل هذا، أذكر ما قال المسيح في الانجيل أنّ جنس الشّياطين ما يخرج إلاّ بالصّوم والصّلاة في الفصل ٢١/١٧ من متّى. أعني أنّ المقسِّم يستعمل هذه الفضيلتين الّلتين هم الصّوم والصّلاة على قدر طاقته وحاجته كحسب ما فعلوا آباؤنا القدّيسين مع حربهم الشّياطين وخروجهم من جنس البشر (عدد ٧).

وأيضاً يجب على المقسّم أن يأمر الشّعب حتّى يصوموا ويصلّوا من لأجل خلاص المعتري من الشّيطان (عدد ٨).

ولأجل ذلك، لا يصير التّقسيم إلاّ في الكنيسة أم في موضع طاهر منفرد عن الشّعب، ما خلا عن ضرورة يصير في البيت (عدد ٩).

ويجب على المقسِّم أنّه يأمر الموجوع حتّى يصلّي ويتضّرع الرّبّ والقدّيسين لأجل خلاص نفسه. وإذا قدر يصوم ويعترف ويتقرّب جايزاً كان في تدبير المقسّم (عدد ١٠).

ولمّا يتقسّم على المجنون ويفيق على ذاته، يجب عليه أنّه يرجع إلى الله في كلّ قوته وجهده ويترك كلّ الأشياء البرّانية، وجميع ما في العالم حتّى في أمانته الثّابتة وتواضع قلبه يطلب الخلاص لنفسه. (عدد ١١).

وأيضاً، متى يعذّب الشّيطان الإنسان في أشدّ العذاب يجب أنّه يصبر، ويحتمل في كلّ قوّته، ولا يقطع رجاه من معونة الله سبحانه وتعالى. ودايماً يعني الموجوع يكون عنده صورة صليب سيّدنا المسيح وذخاير القديّسين إذا كانوا موجودين، ويضعهم على صدره، أم على رأسه، ويتحضّر المقسِّم على حفظ وإكرام الذّخائر، لأنّ الشّيطان يحثّ المريض على استحقار وتَهاون الذّخاير المقدّسة (عدد ١٢).

وأيضاً يجب على المقسِّم ياخذ جسد سيّدنا المسيح الّلي في الحقّه ويوضعهم فوق راس المريض لا غير لأجل الخطر لعظم الكرامة (عدد ١٣).

المقسّم لا يكثر الكلام، ولا يسأل المريض عن أشياء باطلة لأنّ المريض في هذا الوجع جميع ما يفعل هو من أمور الشّيطان، ولا يسأل الشّيطان عن أشياء مخفيّه الذي ليس فيها منفعة للموجوع، ألاّ يأمر الرّوح النّجس حتّى لا يتكلّم إلاّ في وقت يسأله، ولا المقسِّم يصدّق الشّيطان وقت يقول له إنّه قدّيس أو نفس واحده من الموتى أم الملاك الحارس الإنسان. حينئذ هذه المسألة لازمه يعني المقسِّم يسأل الشّيطان أيش هم عدد الأرواح النّجسة في المرِيض لأنّ جميع ما يتكلّم الموجوع هو من الشّيطان (عدد ١٤).

وأيضاً يسأل الشّيطان في أيّتا زمان كان دخولُهم في ذلك المريض (عدد ١٥).

والمقسِّم يأمر المريض حتّى لا يضحك، ولا يبكي، ولا يعمل شيء من الأشيا الباطلة، وأن المقسّم لا يخلّي عنده وقت التّقسيم إنسان من الشّعب إلاّ قليل لئلاً يشتغلوا في الحديث وغيره والحاضرين يحقّروا جميع ما يقول المريض لأنّه من الشّيطان، ولا يسألوه عن شيء من الأشياء البتّة، بل يصلّوا بالتّواضع وانسحاق القلب (عدد ١٦).

فيجب أنّ المقسِّم يقرأ التّقسيم، ويلفظ الكلام صحيح بغير غلط في أمر عظيم وقوّة وغيره لمجد الله إذا نظر الرّوح النّجس معذّب جداً حينئذٍ يثقوا في كلامه، ويربط قوّة الشّيطان بغيرة وأمانة كبيرة (عدد١٧).

والمقسِّم إذا نظر المريض أنّ الشّيطان يتحرّك في جسده من موضع إلى موضع وبيان له علامة، أعني يختلج جسده أم ورام أو غير ذلك، حينئذ يصلّب على الموضع، ويرشّ عليه ماء مقدّس، ولازم يكون محفوظ عنده من الماء المقدّس (عدد ١٨).

حينئذ المقسِّم يدير باله ويتحضّر ويميّز في أيّ كلام يتعذّب الشّيطان، ويفزع ويرتعد حتّى يكرّر عليه هذا الكلام أمراراً كثيرة. إذا وصل إلى الإنتهار والتّوبيخ يكرّر ذلك القول حتّى يزيد وجع وعذاب الشّياطين. وإن كان يبان للمقسِّم أنّ المريض انتفع واستراح في ذلك الكلام (عدد ١٩).

حينئذ يثبت على تقسيمه ساعتين ثلاثة أم أكثر، أعني على قدر طاعته حتّى يحلّ ويطرد قوّة الشّياطين (عدد ٢٠).

أيضاً، يتحضّر المقسّم لا يعطي ولا يرسم في دوا ولا في شربه المريض، بل يترك هذا الأمر في تدبير الحكما (عدد٢١).

وإذا كان المقسِّم يقسِّم على إمرأة، يجب أن يحضر لعنده أناس من قرايبها يكونوا أصحاب عقل وديانة. لكن في وَقت الضّرورة جايز كلّ شيء، بل يتحضّر ويدير باله المقسِّم أنّه لا يعمل أو يتكلّم شيء في ضرر لنفسه، ولا يكون فيه شكّ للحاضرين (عدد ٢٢).

وإذا قسّم يستعمل الكلام والموكود في الكتب المقدّسة أكثر من كلامه. ويأمر الشّيطان أن يقول له إن كان هو مربوط في ذلك الجسد، ولأيّ سبب وبأيّ فعل ربطوه المعزّمين، وبأيّ علامة، وفي أيّ آلة حتّى المريض يستفرغ الذي دخل في جسده من التّعزيم له صنعة مخفيّة يأمره المقسِّم ويغصبه حتّى يبيّن جميع ما فعل مع ذلك الإنسان. وبعد ما وجد صنعة الشّيطان يحرقه في النار (عدد ٢٣).

وكذلك، المقسِّم يأمر المريض أنّه يبيّن له جميع تجاريب وصنعة الشّيطان (عدد ٢٤).

وإن هرب الشّيطان، وتعافى الموجوع من مرضه ينهيه المقسِّم ويخطّره أنّه لا يعود للخطيئة كما قال في الإنجيل المقدّس: لا ترجع إلى الخطيّة لئلاّ يصيبك شرّ أكثر من الأوّل[3]. ولا تفتح في ذاتك باب للشّياطين لئلاّ تكون آخرتك شرّ من أولئك كما قال الإنجيل الطّاهر (عدد٢٥).

٣- يوحنّا ٥، ١٤.

٤. رتبة التّقسيم

أ– مبتدا التّقسيم

– يعترف المقسّم... باستحقاق.

– وإذا ما وُجد معلّم يعترف، **يندم، وينسحق** على الخطيئة من كلّ قلبه،

– **ويقدّس** في ذلك اليوم إن كان بيقدر.

– وإن كان غير كاهن **يحضر القدّاس،** ويصلّي ويتضرّع في حرارة وغيرة لمعونة الرّبّ.

– **ثمّ يلبس الكتّونة وبطرشين أزرق.**

– **ويلفّ من البطرشين على رقبة المضروب.**

– **وإذا كان المجنون** شرّير وما بيثبت في موضعه **يربطه قدّامه.**

ب– التّقسيم

– المقسّم **يصلّي على المضروب، وعلى ذاته، وعلى الحاضرين.**

– بعد ذلك، **يرشّ ماء مقدّس** على الموجوع وعلى ذاته وعلى الحاضرين.

– **يجثو على ركبتيه** ويقول مع الحاضرين: الطّلبة.[٤]

– ثمّ يقول بالسّريانيّة: لا تذكر يا ربّ خطايانا ولا خطايا أبائنا، ولا تنتقم منّا لأجل آثامنا.

– الأبانا.

– بصوت عالٍ: ولا تدخلنا التّجارب.

– يجاوب الشّعب: لكن نجّنا من الشّرير.

– **المزمور ٥٤** اللهّم باسمك خلّصني...

– **طلبات بين المقسّم والشّعب.**

– المقسّم يقول صلاة: يا ربّ... إقبل تضرّعنا، وحلّ عبدك المشتدّ في جنازير ذنوبه.

٤– المخطوط مجتزأ، ولكن يُستدلّ أنّه طلبة القدّيسين بالسّريانيّة.

- **صلاة**: يا ربّ القدّوس... (تختصر هذه الصّلاة العقيدة، ويطلب في آخرها المقسِّم من الرّبّ أن يُخرج الشّيطان من المضروب).
- ثمّ يأمر الشّيطان بأن يُعْلمه عن اسمه وساعة خروجه هو ورفاقه المعذّبين من عبد الله بعلامة ما (آمرك أن تطيعني لأنّي خادم الله، أن تخرج منه، وألاّ تضرّ أحداً من الحاضرين، لا في أشخاصهم ولا في أعمالِهم).
- يقرأ الأناجيل على المريض: وعندما يقرأ ذلك في كلّ إنجيل، يصلّب على ذاته وعلى وجه المريض وعلى فمه وعلى صدره.
  - إنجيل من يوحنّا: «في البدء كان الكلمة...»[٥]
  - إنجيل من مرقس: «فقال لَهم يسوع إنطلقوا إلى العالم أجمع واكرزوا...»[٦]
  - إنجيل من لوقا: «فرجعوا أولئك السّبعين...»[٧]
  - إنجيل آخر من لوقا: «وبينما يسوع يخرج شيطان كان أخرس...»[٨]

صلاة: يطلب فيها المقسِّم العضد من يسوع حتّى يغلب الشّيطان.

وبعد ذلك يصلّب على ذاته وعلى المجنون الّذي يكون مربوط في عنقه بجزء من البطرشين. ويضع يده اليُمنى على رأس المريض ويقول:

حوار بينه وبين الشعب.

ثمّ صلاة: يطلب المقسِّم معونة الرّبّ يسوع.

ج-تقسيم آخر

يبدأ التّقسيم صلاة: أنا أقسّمك يا روح النّجسة.

صلاة: يصلّيها المقسِّم ويصلّب صلباناً على جبهة المريض (أربعة صلبان).

٥- يوحنّا ١، ١-١٨.
٦- مرقس ١٦، ١٥-٢٠.
٧- لوقا ١٠، ١٧-٢٠.
٨- لوقا ١١، ١٤-٢٣؛ متّى ٩، ٣٢-٣٤.

ثمّ صلاة: وفي أثنائها يصلّب المقسّم على جبهة المضروب، وبعد ذلك يصلّب ثلاث مرّات على صدر المضروب.

د- تقسيم آخر

يبدأ التّقسيم: أقسّمك يا حيّة القديمة، في اسم حاكم الأحياء والأموات.

صلاة: أنا أقسّمك ثانياً... وفي أثناء الصّلاة **يصلّب على صدر المضروب**... ثمّ، وهو يصلّي، يصلّب عدّة مرّات (١٠ مرّات). ثمّ **يصلّب على وجه المضروب**. ثمّ **يصلّب على** الحاضرين.

صلاة أخرى: تزعزع، واهرب في استدعا اسم الرّبّ...

صلاة المقسِّم: يا إله السّما وإله الأرض...

ه- تقسيم آخر

صلاة واحدة: فالآن أنا أقسّمك يا روح النّجس أين ما كنت...

وكلّ الذي سابقاً ذكرناه يتكرّر إن كان يحتاج حتّى المضروب يشفى.

وأيضاً هولاي الصّلوات والمزامير ينقالوا بالتُّقى والطّهارة على المريض بعدما يشفى.

- الأبانا.
- السّلام الملائكيّ.
- قانون الإيمان.
- تسبحة مريم والدة الله: تعظّم نفسي الرّبّ[٩].
- تسبحة زكريّا النّبيّ: مبارك هو الرّبّ إله إسرائيل[١٠].
- شرح قانون الإيمان.
- المزمور ٩١: السّاكن في عون العليّ...
- المزمور٦٨: يقوم الله وتتبدّد أعداؤه...
- المزمور ٨٦: أصغ يا ربّ سمعك...

٩- لوقا ١، ٤٦-٥٦.

١٠- لوقا ١، ٦٧-٨٠.

- المزمور ٥٤: اللّهم باسمك خلّصني...
- المزمور ١١٩: إعترفوا للرّبّ لأنّه صالح...
- المزمور ٣٥: أحكُم يا ربّ لحُكمي...
- المزمور ٣١: عليك يا ربّ توكّلنا...
- المزمور ٢٢: إلهي إلهي، لماذا تركتني...
- المزمور ٣: ياربّ، ما أكثر الذين يحزنونني...
- المزمور ١١: على الرّبّ توكّلت...
- المزمور ١٣: إلى متى يا ربّ تنساني...
- **بعد شفاء المريض وخروج الشّيطان، المقسّم يقول هذه الصّلاة:** نصلّي ونتضرّع...

■ ثانياً: خصائص التّقسيم على المسكونين في المخطوط

مقدّمة

إنّ الأسلوب المُتبّع في هذا المخطوط هو ليتورجيّ، قانونيّ بحت، وبعيد كلّ البُعد عن الأسلوب التعليميّ الّذي تتّبعه الكنيسة في أيّامنا هذه. فالمخطوط لا يتكلّم كما الرّتبة الجديدة للتّقسيم الصّادر عن الفاتيكان سنة ١٩٩٩[١١]. فهو لا يأتي على ذكر الله الذي خلق العالم صالحاً، ولا على الشّيطان الذي سقط، ولا على سقطة الإنسان بالخطيئة بإغواءٍ من الشّيطان.

فالمسيح قد أتى عالمنا وانتصر على المجرّب بموته وقيامته، وأعطى السّلطان لرسله ولبقيّة تلاميذه ليطردوا الشّياطين. وفي الواقع، إنّ الكنيسة قد استعملت هذا السّلطان منذ زمن الرّسل لطرد الشّياطين، ودفع تأثيرهم، وذلك باسم يسوع وقوّة الرّوح القدس، علىما جاء في التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة: «عندما تلتمس الكنيسة علناً وبقوّة السّلطة، باسم يسوع المسيح، حماية الأشخاص أو الأشياء من قبضة المحتال ونفوذه، فهي تُمارس ما يُسمّى بالتّقسيم»[١٢].

١١- الوثائق الكاثوليكيّة، ٢١ شباط ١٩٩٩، عدد ٢١٩٧، ص١٥٩-١٦٠.

١٢- التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، مرجع سابق، عدد ١٦٧٣، ص ٤٩٧

١. صفات الكاهن المقسِّم

على الكاهن المقسِّم أن يتحلّى بصفات منها: أن يكون طاهراً، متواضعاً وغير معجب بنفسه. فإذا ما توفرّت له هذه الصّفات، يقوم بعمله بمحبّة وتواضع، متّكلاً، لا على قوّته، بل على قوّة الله. ولا يقصد من خلال عمله هذا ربحاً ماديّاً، ولا مجداً باطلاً. كما يشترط فيه أن يكون كاملاً في عقله (عدد ١).

علاوة على ما سبق، يُطلب من الكاهن أن يكون فطناً، فلا يصدّق بسهولة أنّ الشّيطان يسكن المؤمن، وهو قد يكون عرضة لأمراض نفسيّة وعقليّة.

لهذا على المقسِّم ألاّ يُقدِم على التّقسيم إلاّ بعد أن يكون قد حصل على علامات يقينيّة بأنّ الإنسان المعنيّ هو مسكون حقّاً. ولا يقسّم عليه إلاّ بعد الحصول على رضاه. أمّا العلامات التّقليديّة الثّلاث فهي:

١– «التكلّم بألسن غريبة غير مفهومة. أو بيفهم المقسِّم حين يتكلّم المضطّرب بلسان غير مفهوم»، أي أن يتكلّم المريض بلغة غريبة، ويفهم المقسِّم هذه اللغة.

٢– «إذا بان أو ظهر شيء مخفيّ، أو علامة من المريض مفعولات في مواضع بعيدة»، أي معرفة أشياء بعيدة وخفيّة.

٣– «وقتاً يبان من المريض أنّ فيه قوّة... أقوى من طبيعة إنسان كبير، يعني إذا كان طفل صغير وعلامات كثيرة تبيّن مثل هذا العقل»، أي أنْ يبرهن المريض عن قوّة تفوق العمر والحالة (عدد ٢).

ولمّا لم تكن هذه الأدلّة كافية، تزاد عليها علامات «من نظام روحيّ وأخلاقيّ: كره شديد لله ولإسم يسوع، وكره للعذراء مريم، وللقدّيسين، وللكنيسة، ولكلمة الله، ولصور القدّيسين».

إذاً، على المقسّمين أن يكونوا فطنين لمجموعة هذه التّصرّفات التي قد تجد لها أساساً في عمل الشرّير وكراهيّته لله وللبشر.

٢. المقسِّم والشّيطان

نجد في هذا المخطوط تنبيهات، على المقسِّم أن يحملها على محمل الجدّ كي يبلغ الغاية المرجوّة.

١– عليه أن يعرف الحالات التي يمرّ فيها المريض أثناء التّقسيم حتّى يفيد منها في تقسيمه، فيعرف مثلاً أيّة صلاة تؤثّر على الشّيطان حتّى يكرّرها، وأيّ كلام يُخيفُه (عدد ٣).

٢– عليه أن يحذر حيل الشّيطان لئلاّ يغشّه فيترك التّقسيم، إذ إنّ هذا الأخير يُظهر المريضَ بأنّه غير مضروب، وأنّه معافىً، وأنّه قد شُفي من مرضه. وأحياناً يحمل الشّيطان المريض على النّعاس والنّوم أثناء التّقسيم. لهذا، وجب على الكاهن ألاّ يتوقّف عن التّقسيم (عدد ٤).

٣– يبذل الشّيطان جهده كي يوجّه المريض إلى «المعزّمين والحاويين والمزخرفين». على الكاهن المقسِّم أن يحوّله عنهم ويقوّي عقيدته في الكنيسة وخدّامها فقط (عدد ٥).

٤– «إنّ صنايع الشّيطان وطغيانه غير محصيّة»، ومنها أنّه يترك المريض أحياناً حتّى «يستريح ويهدأ من وجعه ويعترف ويتقرّب»، فيتنبّه المقسِّم إلى خدعة الشّيطان هذه، فلا يتركه يزهّده بالتّقسيم فيتوقّف عنه (عدد ٦).

٣. إرشادات مكمّلة

يقتضي التّقسيم من المقسّم «الصّوم والصّلاة»[١٣] (عدد ٧). وعليه «أن يأمر الشّعب حتّى يصوموا ويصلّوا لأجل خلاص المُعترين من الشّيطان» (عدد ٨). «وعلى المقسِّم أن يأمر الموجوع حتّى يصلّي... وإذا قدر يصوم ويعترف ويتقرّب» (عدد ١٠).

علاوة على ذلك على المريض «أن يرجع إلى الله... وأن يطلب خلاص نفسه بأمانة ثابتة وتواضع قلب» (عدد ١١).

وإذا ما عذّبه الشّيطان شديد العذاب، عليه «أن يصبر ويتحمّل ولا يقطع رجاه من معونة الله، وأن يكرّم صورة سيّدنا المسيح وذخائر القدّيسين» (عدد ١٢).

١٣– متّى ١٧، ٢١.

٤. المقسّم والمريض

أثناء التّقسيم، فليستعن الكاهن بالقربان المقدّس «وليضع الجسد الّلي في الحقّة على رأس المريض» (عدد ١٣).

«وعلى المقسِّم ألاّ يُكثر الكلام، ولا يسأل المريض عن أشياء باطلة، وأشياء خفيّة... ولا يصدّق الشّيطان وقت يقول له أنّه قدّيس، أو الملاك الحارس، أو نفس واحد من الموتى»... وعليه أن يسأل الشّيطان في أيّ زمان كان دخولَهم في ذلك المريض (عدد ١٤و١٥).

«ويأمر المقسّم المريض حتّى لا يضحك، ولا يبكي، ولا يعمل شيئاً من الأشياء الباطلة. والحاضرون يجب أن يكون عددهم محدوداً، وألاّ يشتغلوا في الحديث وغيره... بل يصلّوا بالتّواضع وانسحاق القلب» (عدد ١٦).

أمّا وقد هيّأ المقسِّم ذاته وهيّأ المريض وأخذ كلّ احتياطاته، فليتنبّه، «ألاّ يصير التّقسيم إلاّ في الكنيسة، أم في موضع طاهر، وعند الضّرورة في البيت» (عدد ٩). يبدأ الكاهن بالتّقسيم، فيقول الصّلوات بلفظ صحيح وبقوّة (عدد ١٧). ويرشّ بالماء المقدّس المكان الذي يختلج فيه الرّوح النّجس في جسم المريض بشكل صليب (عدد ١٨). ويتنبّه إلى الكلام الذي يتعذّب منه الشّيطان فيكرّره ليزيد من وجع الشّياطين وعذابِهم ونفع المريض وراحته (عدد ١٩). ويثبت في تقسيمه حتّى يطرد قوّة الشّيطان (عدد٢٠).

وليتنبّه المقسِّم ألاّ يعطي المريض دواءً. فهذا من شأن الأطبّاء (عدد٢١). إذا كان المريض إمرأة، فليكن الحاضرون معه من أقاربِها الذين يتمتّعون بصفات عالية من التَّعَقُّل والإيمان (عدد ٢٢).

وإذا ما هرب الشّيطان وتعافى الموجوع من مرضه، يُنهيه المقسِّم ويُحظّره ألاّ يعود للخطيئة كما قال في الإنجيل المقدّس، لئلاّ تكون آخرته شرّ من أوّلته...[١٤] (عدد ٢٥).

١٤- يوحنّا ٥، ١٤.

٥. رتبة التّقسيم

تُقسم هذه الرّتبة إلى قسمين:

أ- مبتدا التّقسيم

يُراد بمبتدا التّقسيم القسم الذي يسبق التّقسيم بحدّ ذاته.

- على الكاهن المقسّم أن يعترف بانسحاق. وإذا لم يوجد كاهن ليسمع اعترافه، فليندم على خطاياه.
- وعليه أن يقدّس، وإلاّ فإنّه يحضر القدّاس ويصلّي ويتضرّع إلى الله بحرارة.
- يلبس الكتّونة وبطرشين أزرق، ويلفُّ من البطرشين على رقبة المجنون.
- «إذا كان المجنون شرّيراً، وما بيثبت في موضعه يربطه قدّامه».

ب- التّقسيم

- يصلّب المقسِّم على المضروب وعلى ذاته وعلى الحاضرين.
- بعد ذلك يرشّ ماء مقدّس على المضروب وعلىذاته وعلى الحاضرين.
- يجثو على ركبتيه ويقول مع الحاضرين[١٥].
- ثمّ يقول سرّاً «أبانا الّذي في السّماوات»، إلى أن يقول بصوت عالٍ: «ولا تدخلنا التّجارب». فيجاوب الشّعب: «لكن نجّنا من الشّرّير».
- تلاوة المزمور ٥٤: اللهّم باسمك خلّصني...
- تلاوة طلبات مناوَبة بين المقسِّم والشّعب.
- ثمّ يتلو المقسّم صلاة يطلب في آخرها من الرّبّ أن يُخرج الشّيطان من المضروب. ثمّ يأمر الرّوح الشّرّير بأن يخرج من الإنسان المريض «بأسرار تجسّد وتألّم وقيامة وصعود ربّنا يسوع المسيح، وحلول الرّوح القدس، ومجيء سيّدنا يسوع المسيح إلى الدّينونة». وفي هذا دلالة على أن المقسِّم لا يعتدّ بقوّته، بل على سيّدنا يسوع المسيح «إذ أنّه هو خادم الله وليس مستحقّ».

١٥- المخطوط ناقص، ولكن ممّا يتبع يمكننا أن نستنسج أنّه يقول مع الحاضرين الطّلبة النّاقصة، والّتي تبدأ: يا مار إيرونيموس تضرّع لأجلنا.

ثمّ يقرأ الأناجيل على المريض وهي:

١- **مقدّمة**: إنجيل يوحنّا: «في البدء كان الكلمة...»[16]

٢- **إنجيل مرقس**: «إذهبوا في الأرض كلّها... فباسمي يطردون الشّياطين...»[17]

٣- **إنجيل لوقا**: «ورجع الإثنان والسّبعون فرحين...»[18]

٤- **إنجيل لوقا**: «وكان يطرد شيطاناً وذلك الشّيطان أخرس...»[19]

- صلاة يطلب فيها المقسِّم العضد من يسوع المسيح حتّى يغلب الشّيطان. يصلّب على ذاته وعلى المجنون الذي يكون مربوطاً في عنقه بجزء من البطرشين ويضع يده اليُمنى على رأس المريض.

- صلاة أخيرة يطلب فيها معونة الرّبّ يسوع لينتصر على الرّوح النّجس.

يتبع هذا التّقسيم ورتبته ثلاث تقسيمات أقصر من الأوّل. وتقتصر على صلوات تقسيم ترافقها تبريكات عدّة بالصّليب على جبهة المضروب وصدره ووجهه.

وترد، أخيراً، هذه الملاحظة «كلّ الّذي سابقاً ذكرناه يتكرّر إن كان يحتاج حتّى المضروب يشفى».

وإلى ذلك، «أيضاً هولاي الصّلوات والمزامير ينقالوا بالتّقى والطّهارة على المريض بعد ما يشفى» وهي:

الأبانا، السّلام الملائكيّ، قانون الإيمان، تسبحة مريم والدة الله: تعظّم نفسي الرّبّ...[20]، وتسبحة زكريّا النّبي: مبارك هو الرّبّ إله إسرائيل[21]، شرح قانون الإيمان، والمزامير المذكورة أعلاه:

بعد شفاء المريض وخروج الشّيطان، المقسِّم يقول هذه الصّلاة: «نصلّي ونتضرّع إليك الضّابط الكلّ أنّ روح الإثم لا يكون له بعد قوّة على هذا عبدك...»

١٦- يوحنّا ١، ١-١٨.

١٧- مرقس ١٦، ١٥-١٨.

١٨- لوقا ١٠، ١٧-٢٠.

١٩- لوقا ١١، ١٤-٢٠.

٢٠- لوقا ١، ٤٦-٥٦.

٢١- لوقا ١، ٦٧-٧٩.

الفصل الثّاني

رتبة التّقسيم على المعقودين

(في المخطوط ٣٤ (١٧٢٠))[١]

مقدّمة

يحمل هذا المخطوط العنوان التّالي: مختلَف. يوجد في الثّبت المنطقيّ الأوّل لمخطوطات بكركي تحت الرّقم ٣٤. ورقه مقبول، غلافه من الجلد، الحبر أحمر وأسود، الخطّ سريانيّ عربيّ، عدد أوراقها ٣٣٦، القرن الثّامن عشر، (٢٢٧ × ١٦٣) ملم (١٧٥ × ١٢٠)، ٣٠ سطراً في الصّفحة.

وما نحن في صدده يشكّل جزءًا من هذا المخطوط، يقع في الأوراق من ١٧٢ إلى ١٧٦. وهو يحمل العنوان الآتي: «تقسيم لأجل الذين يمتنعون عن حيض الطّبيعة والإختلاط مع نسائهم في السّحر أم غير ذلك يكون من فعل شيطانيّ». في الصفحة ٢٧٤ التي فيها تنتهي رتبة التّقسيم، نقرأ اسم مالك المخطوط البطريرك يعقوب بطرس الحصروني البطريرك الإنطاكيّ[٢]. هذه الرّتبة منقولة من اللاّتينيّة إلى اللسان العربيّ. إنّه تعليم الكنيسة الجامعة، والكنيسة المارونيّة تؤمن إيماناً ثابتاً بهذا التّعليم.

لقد استعملت الكنيسة المارونيّة التّقسيم على المعقودين الذين لم ينجبوا لأسباب كان الشّيطان وراءها. واستعملتها حتّى تمنع المؤمنين من اللجوء إلى وسائل مشبوهة غير كنسيّة.

١- ثَبَت منطقيّ لمخطوطات بكركي، القسم الأوّل: عبدو خليفة وفرنسيس البيسري ١٩٧٣

٢- هو البطريرك يعقوب عوّاد (١٧٠٥-١٧٣٣).

لقد جاء في المجمع اللبنانيّ، في الفصل الذي يتكلّم على الزّواج، وتحديداً على الموانع، وبنوع خاصّ مانع العجز... «وليعلم أنّه لا يسوغ الإستعانة بالشّيطان، ولا بصناعة دعاته وروّاده على إزالة هذا العجز، بل ينبغي الإعتصام بأعمال التّوبة وصلوات الكنيسة»[3]. ولكن يجب اللجوء إلى هذه الرّتبة لإزالة «العجز النّاشيء عن قوّة سحريّة»[4].

تحدّد المخطوطة المعقودين على أنّهم «هم الذين يمتنعون عن حيض الطبيعة والإختلاط مع نسائهم في سحر أو غير ذلك يكون فعل شيطانيّ».

١. خادم الرّتبة وصفاته

خادمها يكون كاهن، وفي حال النّعمة... «ويكون صايم لئلاّ الأراكنة يخرجوا من الرّجل أو المرأة المسحورين ويدخلون بالمقسّم».

- «لا يشارط الكاهن على أجره ... بل يكون التّقسيم لأجل الخير».

٢. رتبة التّقسيم

أ- مبتدأ التّقسيم

- يوضع الكاهن البطرشين في رقبته .
- يهيّء ماء مقدّس، والمبخرة، وملح مبارك عليه ورق زيتون الشّعانين.
- شمع مع ذهب ثمّ مرّ.
- يوضع كلّ ما سبق في المبخرة ويبخّر البيت.

ملاحظة: التّقسيم يجري في البيت لأنّه إلى التّقسيم على المسحور يجري أيضاً التّقسيم على ثيابه ومأكوله وفرشته.

ب- التّقسيم

بعد البسملة، يقول المقسِّم صلاة يطلب فيها المعونة من الرّبّ ويرافقها برشّ «ماء مقدّس»، فتخمد وتطفأ كلّ قوّة شيطانيّة.

٣-المجمع اللبنانيّ طبعة ١٩٨٦، الباب الحادي عشر: في سرّ الزّواج، ص ١٢٩.

٤- المرجع نفسه.

- ويرشّ «ماء مقدّس» مرّة ثانية، ويقرأ من إنجيل يوحنّا: عرس قانا الجليل[5].
- ثمّ صلاة يطلب فيها من الرّبّ «أن يلتفت إلى عبده... الذي أزوجه بالزّيجة، ويباركه، وينجّيه من كلّ رباط وسحر... ويمنحه النُتج بالنّسل والولادة...
- ثمّ صلاة وهو يصلّب على جبهة المربوط، ويتبعها بصلاة أخرى.
- ويرشّ «ماء مقدّس» بشكل صليب قائلاً: أقسّم عليكم أيّها الأرواح الشرّيرة...
- مزمور ١٢٧: طوبى لجميع الذين يتّقون الرّبّ...
- صلاة أخرى ورشّ «ماء مقدّس»: أكرّر عليكم بالتّقسيم أيّها الأبالسة الجهنّميّة...
- صلاة أخرى ورشّ «ماء مقدّس»: أقسّم عليكم جميعاً أيّها الأرواح الماردة...
- يوضع يده على رأس المعقود قائلاً: أنت فلان، إن كان أحد السّحرة سحرك بسحر أم برقوة أم بربط... أم ربطك رباط لئلاّ تتصرّف بفعل الزّيجة... بعد هذا يدهنه بزيت مبارك من زيت العماد ويرشّ ماء مبارك.

ج- الصّلاة على الثّياب والفرشة واللّحاف

ثمّ يبارك ثيابه ومأكوله، طالباً شفاعة القدّيس أوبلدوس، قائلاً هذه الصّلاة: «أقسّم عليكِ أيّتها المخلوقات... أن تكونوا ثياب مباركين طاهرين من كلّ قوّة الشّيطان».

ثمّ يبارك الفرشة، ويرشّ ماء مبارك قائلاً: أيّها الرّبّ الآب القدّوس الذي بأدبك تنجّينا. فأبتهل إلى سطوتك لأجل هذا اللّحاف وهذه الفرشة، هذا البيت وكلّ شيء فيه... فأنت يا ربّ زيد بركاتك على هذا اللّحاف والفراش والبيت وعلى خلايقك السّاكنين به...

وأخيراً يرشّ ماء، ثمّ يُثنّي هذه الصّلاة أمرار عديدة حتّى ينفكّ المربوط.

٥- يوحنّا ٢، ١-١٢.

الفصل الثّالث

رتبة منح درجة المقسِّم أي الرّابعة

(المخطوط ٣٥ (١٦٥٤))[١]

مقدّمة

يحمل هذا المخطوط العنوان الآتي: مختلَف. يرد في الثّبت المنطقيّ الأوّل لمخطوطات بكركي تحت الرقم ٣٥. ورقه عاديّ – غلافه من الجلد الأصفر الغامق – حبر أحمر وأسود – الخطّ سريانيّ – القرن السّابع عشر – (٢٠٦ × ١٥٤) ملم (١٦٢ × ١١٠)؛ ١٦سطراً في الصفحة.

قسم الرّتبة إلى قسمين: قسم يحوي مجموعة من الصّلوات والرّتب والتّبريكات، وقسم يتضمّن كتاب السّيامات: للدرجات التي تسبق الكهنوت، ودرجة البرديوط، والخوراسقف. ترد درجة المقسّمين هذه بين الدّرجات الصّغرى تحت عنوان: درجة المقسِّمين أي الرّابعة، في الأوراق من ٧٨ إلى ٨٧.

في نهاية سيامة الشّماس الإنجيليّ نقرأ ما يأتي: «وكان ذلك بسنة ١٦٥٤ ربّانيّة نَهار السّبت ٢٤ يوم من شهر كانون الثّاني...». وفي نِهاية سيامة الكاهن نقرأ أيضاً: «تمتّ درجة الكاهن كاملة... لسنة ١٦٥٤ ربّانيّة بشهر شباط ١٦ يوم كلّه منه...»

١. رتبة درجة المقسّمين

في آخر العمود الذي ينهي رتبة سيامة القارئ نقرأ «وأمّا درجة المقسِّم، ودرجة الشمعدانيّة هم درجة واحدة».

١– عبده خليفة وفرنسيس البيسري، ثَبَت منطقيّ لمخطوطات بكركي، القسم الأوّل، ١٩٧٣.

١- وبعد رتبة سيامة المقسِّم، تأتي رتبة سيامة الشّدياق. وترد في المخطوطة هكذا: درجة الرّابعة وهي شمعدانيّ. وتقوم بأنّ الذي يريد يرتسم شدياق شمعدانيّ يكشف راسه... يسجد... ويتهيّأ شمعدان بشمعة يضويه.

٢- وفي الصّفحة ١٧٦ يرد ما يأتي: يعطي الأسقف الشّدياق شمعدان وفيه شمعة، ويقول: إقبل مسرجة مع شمعة وتعرف أن تضيء أنوار في وظيفتك.

ولقد أتى المجمع اللبنانيّ على ذكر الشّمعدانيّ في العدد ٣ من الباب الثّاني، عندما تكلّم على وظيفة الشّدياق: «وظيفة الشّدياق هي أن يخدم الشمّاس، ويحرس أبواب الكنيسة... ويحمل الشّمعدان»[٢].

لقد جاء في المخطوط، أنْ قبل البدء بالرّتبة، على المعنيّ أن يهيّء كتاب التّقسيم حتّى يُعطى للمرسوم في درجة المقسِّمين. وقد يُعطى بدلاً عنه كتاب الشرطونيّة، أو كتاب القدّاس. وقد ورد في المخطوطة: «أم كتاب الشّرطونيّة موضعه، أم كتاب القدّاس».

تمنح هذه الدّرجة بعد درجة القارئ. وبعد البسملة، يبدأ الأسقف، وهو لابس التّاج وجالس على كرسيّه بتلاوة هذه الصّلاة على القارئ: «الرّبّ الإله يباركك، ويجعلك مقسِّم في البيعة المقدّسة (القدّيس مار فلان)، دير أو قرية المباركة (فلانة) مُحبّة المسيح، وأنا أباركك باسم الآب والإبن والرّوح القدس آمين».

إذاً، يرسم الأسقف القارئ مقسِّماً في دير معيّن، أو في رعيّة معيّنة. ثمّ يتبع هذا بصلاة يطلب فيها من الله أن يكون المنسام أهلاً لهذا العمل الإلهيّ، وبصلاة أخرى كي يخدم المرسومين «في هيكل الله المقدّس بالنّقاوة والقداسة»، وهذه صفة من الصّفات التي على المقسّم أن يتحلّى بها.

ثمّ تُقال صلاة على الذين «يريدوا يرتسموا في وظيفة التّقسيم ويتسمُّوا واحد واحد... وهم يركعوا أمام الحبر، وفي أياديهم ماسكين الشّمع».

٢- المجمع اللبنانيّ طبعة ١٩٨٦، القسم الثالث: في الخدّام والقسوس والرؤساء، الباب الثّاني ص ٣١١

٢. العظة

ويحضّرهم الحبر، إذ يلقي عليهم العظة التي هي بمثابة وصيّة. فيذكّرهم:

١ً– بأنّهم ارتسموا في درجة التّقسيم.

٢ً– بأنّ هذه الدّرجة تخوّلهم طرد الشّياطين بالقوّة التي يعطيهم الأسقف إيّاها.

٣ً– بأنّ هذه القوّة أعطيت لهم، حتّى بوضعهم أيديهم على المجانين وبكلام التّقسيم، تَطرد قوّة الرّوح القدس الأرواح النّجسة من أجساد المسكونين.

٤ً– عليهم أن يطردوا الشّياطين من عقولهم وأجسادهم، وأن يتنقّوا من كلّ أوساخ الإثم والنّجاسة.

٥ً– عليهم أن ينفوا الإثم من حياتهم لئلاّ ينتقم منهم ذلك الذي طردوه من الغير.

٦ً– وعندما يتغلّبون على الرّداءة والنّجاسة فيهم، يتغلّبون على الشّياطين ويطردونَهم من الغير.

٣. تسليم كتاب التّقسيم

ثمّ يأخذ الحبر كتاب التّقسيم أم غيره موضعه، كما ذكرنا أعلاه، ويسلّمهم إيّاه، وهم إنّما يلمسوه بيدهم اليمين فقط، ويقول:

«إقبلوا واحفظوا عن بالكم، هذا هو كلام الجوهريّ، ويكون لكم سلطان لتوضعوا أيديكم على المجانين معتمدين أم متتلمذين». وهاتان الكلمتان تدلاّن على أنّ التّقسيم تقسيمان: تقسيم على الذين يقبلون العماد، وتقسيم على الذين سبق وقبلوا سرّ العماد.

ثمّ يركع الذين يرتسمون بخشوع. والأسقف وهو واقف ولابس التّاج يقول عليهم صلاة يبارك بها المرتسمين في وظيفة التّقسيم فيقول: «أيّها الإخوة الأحبّاء نتضرّع ونتخشّع الله الآب القادر على كلّ شيء، ليرضى ويبارك لعبيده هولاي الّذين في وظيفة التّقسيم حتّى يكونوا مامرين (كذا) روحانيّين لطرد الشّياطين من أجساد المسكونين، أعني المجانين مع كافّة رذالتهم المختلفة في الخيالات الكثيرة بحقّ ابنه الوحيد سيّدنا يسوع المسيح...»

ويلتفت إلى المذبح وينزع التّاج، ويصلّي الصّلاة الأخيرة على المرسومين، وهم راكعون: «أيّها الإله الرّبّ الآب القادر على كلّ شيء إرضَ، وبارك لعبيدك هولاي في درجة المقسِّمين حتّى، في وضع الايادي، يكون لَهم قوّة وحكمة ليمنعوا الأرواح النّجسة، ويكونوا أطبّا لكنيستك، بنعمة الشّفا، وقوّة السّما، ويتثبّتوا بحقّ سيّدنا يسوع المسيح...»

ملاحظات

- نقرأ في هذه الرّتبة أحياناً درجة المقسِّمين، وأحياناً أخرى وظيفة. ولكن علينا أن نفهم أن كلّ درجة لها وظيفة معيّنة، ولهذه الدّرجة وظيفتها.
- ليس هناك، على ما يبدو، كتاب للتّقسيم لكلّ واحد من المرسومين، بل هناك كتاب واحد أو الشّرطونيّة، أو كتاب القدّاس، يمسكه الأسقف أمام المرسومين، فيضع المرسومون أيديهم عليه، وهذه هي علامة التسلُّم.
- يُرْسَمُ مقسِّماً من يريد. لقد ورد في رتبة السّيامة، في الصّفحة ١٥٨، في آخر العامود الأوّل: «حينئذ، يتقدّموا الذين يريدوا يرتسموا في وظيفة التّقسيم». وفي بدء رتبة سيامة الشّدياق الشّمعدانيّ ورد: «والذي يريد يرتسم شدياق شمعدانيّ يكشف راسه...»
- إنّ شرطونيّة المقسِّم والشّدياق الشّمعدانيّ هي واحدة، وهي الرّابعة. فالرّتبة الأولى تقال على الذين يريدون أن يكونوا مقسِّمين، والثّانية على الشّدياق.

عناصر رتبة التّقسيم ومعانيها

من التّقسيم الكبير، وهو رتبة الكنيسة اللاتينيّة منذ ١٦١٤، إلى التّقسيم الصّغير للبابا لاوون الثالث عشر، إلى التّقسيم الجديد ١٩٩٩، وإلى بعض الرّتب المارونيّة الّتي تمتدّ من القرن السّابع عشر إلى القرن التّاسع عشر، وهي التي تجري عليها دراستنا، نجد أنّ العناصر التي تتألّف منها هذه الرّتب إنّما هي هي.

إنّ كلّ رتبة من هذه الرّتب، علاوة على صيغة التّقسيم بالذّات، تولي اهتماماً خاصّاً للحركات والطّقوس: من إشارة الصّليب، ووضع اليدّ، والنّفخ، والنّضح بالماء المبارك.

تبدأ الرّتبة بالرشّ بالماء المبارك، وغالباً ما يُرشّ به أكثر من مرّة، وذلك انطلاقاً من ذكرى التّطهير بالعماد، والذي به نحامي عن المعذّب من حيل العدوّ.

ثمّ هناك صلاة الطّلبة التي نطلب فيها من الله أن يحلّ رحمته على المؤمن المعذّب بشفاعة القدّيسين.

بعد الطّلبات، يصلّي المقسّم مزموراً واحداً أو عدّة مزامير، يطلب فيها حماية العليّ والإشادة بانتصار المسيح على الشرّير. وتُتلى المزامير إمّا دفعة واحدة، وإمّا بين جوقين. وإذا ما انتهى المزمور، بإمكان الكاهن أن يزيد عليه صلاة مناسبة.

بعد هذا، يقرأ الإنجيل كعلامة لحضور المسيح الذي، بكلامه المُعلن في الكنيسة، يُعالج أمراض النّاس.

وبعدها، يضع يديه على المعذّب، داعياً قوّة الرّوح القدس حتّى يخرج الشّيطان من الذي، بالعماد، غدا هيكل الله. وهنا يمكنه أن ينفخ، إذا أراد، في وجه المعذَّب.

وعندئذ، يُتلى قانون الإيمان، أو تجدّد مواعيد العماد بالإيمان بيسوع المسيح وبالكفر بالشّيطان.

تتبع الصّلاة الربيّة، حيث نطلب من الله الآب أن ينجّينا من الشرّير.

بعد هذا يُري المقسِّم المُعذَّب صليب الرّبّ الذي هو ينبوع كلّ البركات وكلّ النّعم. ويَسِمُهُ بالصّليب للدّلالة على انتصار المسيح على الشّيطان.

٤. التّقسيم والخلاص

ثمّ يتلو المقسِّم صلاة استغفار، ويتبعها بصلاة آمرة حيث يأمر الكاهن المقسِّم الشّيطان مباشرة أن يترك الشّخص المعذّب.

هذه كلّها يمكن تردادها عند الحاجة، إمّا مباشرة، وإمّا بعد زمن، إلى أن يتخلّص المعذّب ويستعيد حرّيته.

تنتهي الرّتبة إمّا بترتيلة، بشكر، وإمّا بصلاة وبركة.

الفصل الرّابع

درجة المقسّمين في المجامع المارونيّة

لقد أتت المجامع المارونيّة على ذكر درجة المقسّمين على مدى مئتي سنة، منذ مجمع قنّوبين ١٥٨٠ حتّى مجمع ميفوق ١٧٨٠، مروراً بمجمع حراش ١٦٤٤ والمجمع اللبنانيّ ١٧٣٦.

١. مجمع قنّوبين ١٥٨٠

إنّ مجمع قنّوبين الذي انعقد في عهد البطريرك مخايل الرزّي (١٥٦٧ – ١٥٨١)، أتى على ذكر الأقسامي، وهو يتكلّم على موضوع سرّ الكهنوت. ففي القانون الأوّل من هذا السرّ، يعدّد المجمع الموادّ التي يتسلّمها كلّ صاحب درجة من درجات الكهنوت. ومنها «مادّة درجة الرّاشم والتّقسيم وهي بتسليم كتاب التّقسيم»[١]. وفي القانون الثّاني ورد في صورة درجة الرّاشم: «خذ واحفظ على الغايب، واقبل سلطان لتضع يدك على كلّ من فيه روح خبيث مُعمَّدين كانوا أم مقوننين باسم الرّبّ»[٢].

٢. مجمع حراش ١٦٤٤

عُقد هذا المجمع في أيّام البطريرك يوسف العاقوريّ (١٦٤٤–١٦٤٨)، في دير مار يوحنّا المعمدان–حراش، في ٥ ك١ ١٦٤٤. لا يتكلّم هذا المجمع مباشرة على الأقساميّ. ولكنّه، في القسم الذي يتكلّم فيه على «الإعتراف والقربان»، يرد في العدد

١– الأباتي بطرس فهد، مجموعة المجامع الطائفيّة المارونيّة عبر التّاريخ، ١٩٧٥، ص٦٠، س٤؛ المجامع المارونيّة "المنارة". السّنة ٢٤، العدد الأوّل، ١٩٨٣، ص٤١، س٢٥.

٢– المرجع نفسه، ص٦، س١٧؛ والمنارة، السّنة ٢٤، العدد الأوّل، ١٩٨٣، ص٤٢، س٤.

السّادس ما يلي: «كلّ من يكتب كتيّب الحريزات كمثل المحبّة والبُغضة والحبل والعقد ولحلّ العريس، ويكتب صلوات التّابعة، وما يشابه ذلك، يكون محروم ولا يصير له حلّة إلاّ من البطرك كلّ من يعمل ذلك»[3] .

بإمكاننا الإستنتاج من النّص بأنّ المؤمنين، في الحالات المذكورة، كانوا يلجأون إلى السّحر والكتيبة. ولكنّ حصر الحلّة بالسيّد البطريرك يدلّ على أنّ الكنيسة تنبّه المؤمنين بأنّ اللجوء إلى هذه الوسائل هو خطيئة محفوظ الحلّ منها للسيّد البطريرك. وبهذا تكون قد حوّلت أنظارهم عن ذلك، ووجّهتهم نحو الكنيسة التي وَضَعت لَهم صلوات ورتباً للتّقسيم.

٣. المجمع اللبنانيّ ١٧٣٦

تمَّ انعقاد هذا المجمع في أيّام البطريرك يوسف ضرغام الخازن (١٧٣٣–١٧٤٢)، سنة ١٧٣٦ في دير سيّدة الّلويزة – زوق مصبح – كسروان. ولقد أتى على ذكر الإقساميّ حين يتكلّم على منح الدّرجات الكهنوتيّة، أي في القسم الثّالث الذي يحمل هذا العنوان: في الخدم والقسوس والرّؤساء.

يقول المجمع: «إنّ المجامع القديمة[4] والآباء القدّيسين[5] يُحصَون في عداد الإكليروس الإقساميّ والبوّاب. وقد جرت الكنيسة الرّومانيّة المقدّسة، منذ صدر الدّيانة المسيحيّة، على عادة منح أربع درجات صغيرة وهي البوّابيّة والأقساميّة والقارئيّة والشّمعدانيّة، وقد أتى على ذكرها مجمع قرطجنّة[6]. أمّا الكنيسة الشّرقيّة فلم تفرد رسامة مخصوصة بعينها للبوّاب والأقساميّ...

الأقساميّ هو، بحسب رتبتنا، داخل في الدّرجة الأدنى أي المرتّليّة. لأنّه في رسامة المرتّل يسند إليه سلطان وضع اليدّ على الممسوسين وطرد الشّياطين بذه الكلمات:

٣– الأباتي بطرس فهد، مجموعة المجامع الطائفيّة المارونيّة عبر التّاريخ، ١٩٧٥، ص ٩٥،س ١٨.
المنارة، ١٩٨٣ السّنة ٢٤، العدد الأوّل، ص٧٨، س١١.

٤– مجمع اللاذقيّة، ق٢٤ و٢٦ ومجمع إنطاكية ق١٠.

٥– القدّيس اغناطيوس في آخر رسالته إلى أهل إنطاكية، والقدّيس أبيفانوس في شرح الإيمان.

٦– مجمع قرطجنّة الرّابع سنة ٣٩٨ ق٦ وما يليه.

«نسألك ألّلهمَّ أن تصنع نعمتك ورحمتك إلى عبدك هذا فلان، وامنحه أن يخدم أمامك بالعدل مع محبّي اسمك، واربأ بحياته عن مدانس الخطايا... ويقوى على دوس الحيّات والعقارب، فلا يمسُّه أذى ببركة اسمك القدّوس الذي استُنزل عليه اليوم...».

ومن هنا رادف مجمع إنطاكية[7] بين الأقساميّين والمرتّلين، إذ ولّى الخوارنة الأسقفيّين رسامة الشدائقة والقارئين والأقساميّين[8].

أين تقع هذه الدرجة؟

لقد ورد أنّ للمقسِّم درجة. وجاء ذلك في مخطوطاتنا، وفي مجامعنا، وهي درجة كانت تُمنح مع الدّرجات الصّغرى. ولكن، أين تقع هذه الدّرجة؟ هل هي واحدة مع المُرتّليّة؟ أم هي الرّابعة وواحدة مع الشّدياقيّة؟

لقد ورد في المجمع اللبنانيّ أنّ الأقساميّ يعود إلى درجة المرتّليّة. والبرهان هو أنّه في رسامة المرتّل يسند إليه وضع اليدّ على الممسوسين وطرد الشّياطين «إمنحه يا ربّ أن يكون مصوناً من الخطايا، وأن يقوى على دوس الحيّات والعقارب فلا يمسُّه أذى». وأيضاً، إنّ مجمع إنطاكية، حسب المجمع اللبنانيّ، قد رادف بين المرتّلين والأقساميّين.

ورأينا في المخطوطة ٣٥ سابقاً، والتي فيها رتبة منح درجة المقسّمين أنّها تأتي الرّابعة، أي مع الشّدياقيّة، أي بعد رتبة البوّاب والقارئ والمرتّل. ففي هذه المخطوطة، في آخر العامود الذي يُنهي سيامة القارئ ورد ما يلي: «وأمّا درجة المقسِّم ودرجة الشّمعدانيّة هم درجة واحدة». والشّمعدانيّة، كما ورد هي الشّدياقيّة الّتي تُهيّئ الشّدياق ليكون كاهناً مقسِّماً: «درجة الرّابعة وهي شمعدانيّ... وتقوم بأنّ الذي يريد يرتسم شدياق شمعدانيّ يعطي شمعدان بشمعه فيضويها». «إقتبل مسرجه مع شمعه، وتعرّف أن تضيء أنوار في وظيفتك».

٧- مجمع إنطاكية، (٢١٦) ق ١٠.

٨- المجمع اللبنانيّ، (١٧٣٦) طبعة ١٩٨٦، القسم الثّاني، الباب الرّابع عشر، عدد٤٩، ص٢٨٢-٢٨٤.

فالمجمع اللبنانيّ يقول «الأقساميّ هو، بحسب رتبتنا، داخل في الدّرجة الأدنى، أيّ المرتّليّة». وفي هذه المخطوطة التي هي إحدى مخطوطاتنا المارونيّة يَرد أنّ الأقساميّة واحدة مع الشّدياقيّة وهي الرّابعة؟ ماذا إذاً؟

هل المخطوطة ليست مارونيّة؟ إنّنا في نهاية سيامة رئيس الشّمامسة نقرأ ما يلي: «وكان ذلك لسنة ١٦٥٤... وهي برسم المطران يوسف متولّي في دير حوقا». وفي نهاية سيامة الكاهن نقرأ ما يلي: «تمّت درجة الكاهن بسنة ١٦٥٤... بدير قنّوبين بأيّام سيّدنا البطريرك يوحنّا الصّفراوي».

هل الأقساميّة تعود إلى المرتّليّة، أم هي واحدة مع الشّدياقيّة؟ لا همّ. المهمّ أنّ الكاهن المقسِّم يُهيّئ، قبل الكهنوت، لهذه الدّرجة. ويُقدَّم إليها من هم أهل لها بملء إرادتهم وحرّيتهم.

يبقى أنّ المجمع اللبنانيّ قد قال: إنّ الكنيسة الشّرقيّة لم تُفرد للإقساميّ رسامة مخصّصة، كما يدلّ على ذلك العنوان الوارد في المخطوطة «درجة المقسِّمين أي الرّابعة».

٤. مجمع ميفوق

بتاريخ ١٧ تمّوز ١٧٧٩ سافر البطريرك يوسف إسطفان (١٧٦٦–١٧٩٣) بناءً على دعوة من المجمع المقدّس، وعيّن مكانه المطران ميخائيل الخازن نائباً بطريركيّاً مطلق الصّلاحية. فقام هذا الأخير بمهامّ وظيفته الجديدة، فعقد مجمعاً طائفيّاً في دير سيّدة ميفوق في سنة ١٧٨٠.

وقد جاء في القانون الأوّل، من الجلسة الخامسة بصدد اللجوء إلى السّحر والتّنجيم والتّعزيم وغيرها، ما يلي: «حيث أنّ العبادات الباطلة تصيّر مرتكبيها كأنّهم جاحدين الله وعابدين الشّيطان، وبالتّالي أنّهم يرتكبون خطأً نفاقيّاً مُهلكاً لهم ولغيرهم. فكما حرمهم وأفرزهم المجمع اللبنانيّ، قسم أوّل، راس أوّل عدد ١٣، كذلك نحرمهم نحن ونفرزهم أيضاً هم وأصحاب السّحر والتّنجيم وضرب الرّمل والتّبصير والرّقوات والتّعزيم وحمل الحروزات والطّلسمات، وكلّ كتابة تدعو إلى حبّ وبغض وما يتّصل إلى فتح كنوز وعقد المتزوّجين، وغير ذلك من الأفعال والاعتقادات الشّيطانيّة. فكلّ من فعلها أو كتبها أو

حملها أو سعى بها أو مُسك عنده كتبها أم أوراقها، أو التجأ إلى أصحابها، أو خالطهم بأيّ نوع كان، فليكن مفروزاً»[٩].

وهكذا، يبدو جليّاً أن التّقسيم قد ورد في مجامعنا المارونيّة، سواء كان قبل المجمع اللبنانيّ أم بعده. وما أتى في مجمع ميفوق في هذا الصّدد يختصر نوعاً كلّ ما ورد سابقاً.

٩- الأباتي بطرس فهد، مجموعة المجامع الطائفيّة المارونيّة عبر التّاريخ، مجمع ميفوق، الجلسة الخامسة، القانون الأوّل، ص١٩٧.

- "المنارة"، ١٩٨٣، السّنة ٢٤، العدد الأوّل، ص ١٤٤، س١-٧.

الفصل الخامس

مقارنة بين المجمع اللبنانيّ، والمخطوط ٢٢، ورتبة التّقسيم اللاتينيّة الحديثة

١. جدول المقارنة

المخطوط ٢٢ (١٦٣٩)	المجمع اللبنانيّ ١٧٣٦	رتبة التّقسيم اللاتينيّة الحديثة (١٩٩٩)
– على المقسِّم أن يكون طاهراً، متواضعاً، غير مُعجب بنفسه وأن يكون كاملاً في عقله. يعمل عمله بمحبّة وتواضع، متّكلاً، لا على قوّته، بل على قوّة الله. لا يقصد ربحاً ماديّاً، ولا مجداً باطلاً.	١. ليس لأحد أن يزاول هذا الأمر خلوّاً **عن إذن من الأسقف**. ولا للأسقف أن يوليه لغير الكهنة. وله عند الضّرورة أن يرخّص فيه لمن **كان من الشّمامسة متّصفاً بالتّقوى والفطنة وكمال السّيرة**. وعليهم أن يتمّوا هذا العمل المبرور من طريق التّواضع والمحبّة، متوكّلين على المدد الإلهي، لا على قوّتهم، متنزّهين عن كلّ عاطفة دنيويّة. وليكونوا من المتقدّمين سنّاً، ذوي هيبة ووقار بالنّظر إلى الوظيفة ورصانة الأخلاق معاً.	... الإذن بالتّقسيم على المسكونين، يمنحه الأسقف المحلّي فقط لكاهن نقيّ ومنوّر وفطِن، ولا غبار على حياته، وقد أُعِدَّ إعداداً مخصّصاً لهذه المهمّة. ... يمارس عمله بثقة وتواضع، فيلجأ غالباً إلى الصّلاة، طالباً من الله عونه. (عدد ١٣)

- لا يصدّق (المقسِّم) بالسّهولة من كان معذّباً من الشّياطين حتّى يبان له فيه هذه العلامات التي يميّزوا بين الصّفراوي والسقوط وباقي جنس المرض الذي يَشغل عقل الإنسان.

أ- التّكلّم بألسن غريبة غير مفهومة، أو بيفهم المقسِّم حين يتكلّم المضطرب في لسان غير مفهوم.

ب- إذا بان أو ظهر شيء مخفيّ أو علامة من المريض مفعولات بمواضع بعيدة.

ج- وقتاً يَبان من المريض أنّ فيه قوّة... أقوى من طبيعة إنسان كبير، يعني إذا كان طفل صغير وعلامات كثيرة تبيّن مثل هذا الفعل.

٢. تسنيةً للنّهوض بأعباء وظيفتهم كما ينبغي، يجب عليهم خاصّة أن لا يسترسلوا إلى التّصديق في متبادر المسّ، بل فليتبيّنوا تلك العلامات الّتي تميّز الممسوس من المصاب بداء السّودا أو بمرض آخر. أمّا علامات المسّ فهي:

أ- التّلفّظ بألفاظ كثيرة من لغة مجهولة أو فهم المتكلّم بها.

ب- كشف الأمور البعيدة والخفيّة .

ج-إبداء قوى فوق طاقة العمر أو الحالة.

د- وقتاً يَبان من المريض أنّ فيه قوّة أقوى من طبيعة إنسان كبير، يعني إذا كان طفل صغير وعلامات كثيرة تبيّن مثل هذا الفعل.

على الكاهن المقسِّم ألاّ يصدّق بأنّ إنساناً هو مسكون من الشّيطان، فيما هو يتألّم من مرض، وخاصّة من مرض نفسيّ... كما عليه أن يدقّق إذا كان حقّاً معذّباً من الشّيطان (عدد١٤).

هناك علامات تشير إلى مضايقة الشّيطان. منها: التّلفظ بكلمات عديدة بلغة غريبة، أو فهم هذه الّلغة التي يتكلّم بِها أحدهم، أو كشف أحداث بعيدة، أو مخبّأة.

- الإظهار عن قوى تفوق العمر أو حالة القوى الطّبيعية (عدد١٦).

عليه أن يعرف الحالات الّتي يمرّ بها المريض أثناء التّقسيم حتّى يفيد منها في تقسيمه، فيعرف مثلاً أيّة صلاة تؤثّر على الشّيطان حتّى يكرّرها، وأيّ كلام يُفزعه.

٣. وتقوية لمعرفة القسميّ... فليسأل الممسوس، بعد إقسامة أو إقسامتين، عمّا أحسّ به في نفسه وفي جسمه ليعلم ما هي الألفاظ التي تزيد في كيد الشّياطين وكبتهم فيكرّرها.

ليكن متيقّظاً لحال المُعذَّب الجسديّة والنّفسّية، وإلى التبدّلات الممكنة في وضعه في النّهار وفي السّاعة (عدد٣٤ أ)

عليه أن يحذر حيل الشّيطان فيترك التّقسيم.	٤. فلينتبه القسميُّ إلى المكايد والحيل التي تتذرّع بها الشّياطين لخدعه وتغريره. فإنّ من عاداتهم، في الغالب، أن يجاوبوا كذباً، ويُمسكوا عن إظهار نفوسهم، حتّى إذا طال عناء القسميّ ملَّ وفشل أو خُيِّل له أنّ المريض غير ممسوس.	يجب التنبّه لعلامات أخرى، سيّما من نوع أخلاقيّ وروحيّ، والتي تدلّ، بطريقة أخرى، على التّدخّل الشّيطانيّ؛ على سبيل المثال: الكره الشّديد الله، واسم يسوع، والعذراء مريم والقدّيسين، والكنيسة، وكلمة الله، والأواني المقدّسة والطّقوس، ولاسيّما أشباه الأسرار وصور القدّيسين (عدد١٦)
يُظهر الشّيطان المريض بأنّه غير مضروب، وأنّه معافىً، وأنّه قد شُفي من مرضه.	أ- تارة يوارون أنفسهم بعد ظهورهم، ويغادرون الجسم كأنّه سالم من كلّ أذىً، فيتوهّم المريض أنّه فاز بمطلق النّجاة. فلا ينبغي للقسميّ أن يملَّ حتّى يرى دلائل النّجاة. ب- وتارة يبذلون كلّ ما في وسعهم منعاً للمريض أن يخلد إلى الإقسامات، أو يحاولون إقناع القسميّ يكون المرض طبيعياً.	
أحياناً يحمل الشّيطان المريض على النّعاس والنّوم أثناء التّقسيم.	ج- وآونة يُلقون على المريض سباتاً أثناء الإقسام ويُرُونه حلماً وهم في عزلة منه حتّى يُخيَّل أنّ المريض قد تعافى. د- وبعضهم يكشفون عن عمل سحريّ ويُبيّنون فاعليّة ووجه ملاشاته.	

يبذل الشّيطان جهده كي يوجّه المريض إلى المُعزّمين والحاويّين والزّخرفيّين... على الكاهن المقسّم أن يحوّله عنهم، ويقوّي عقيدته في الكنيسة وخدّامها فقط.	هـ- ليحذر المريض من أن يستعين على دفع ذلك بالسّحراء والعرّافات... بل فليلجأ إلى خَدَمَة الكنيسة.	
يترك الشّيطان المريض أحياناً «حتّى يستريح ويهدأ من وجعه ويعترف ويتقرّب» فيتنبه المقسّم إلى خدعة الشّيطان فلا يتركه يزهّده بالتّقسيم.	و- وآونة يسمح الشّيطان للمريض بأن يشعر بالرّاحة ويتناول القربان المقدّس حتّى يحسبه فارقه... فعلى القسميّ أن يتحفّظ من الإغترار بها.	
يقتضي من المقسّم «الصّوم والصّلاة» وعليه أن يأمر الشّعب حتّى يصوموا ويصلّوا لأجل خلاص المُعترين من الشّياطين.	ز- ليُعنَ القسميّ ما استطاع باستعمال الصّلاة والصّوم بنفسه وبواسطة غيره، فيقوى بهما على استنزال المدد الإلهي وطرد الشّياطين.	ليتذكّر الكاهن المقسِّم بأنّ لا شيء يمكنه إخراج هذا النّوع من الشّياطين إلاّ الصّلاة والصّوم (عدد ٣١).
الحاضرون يجب أن يكون عددهم محدوداً. ولا يصير التّقسيم إلاّ في كنيسة أم في موضع طاهر،	٥. ينبغي أن يجري الإقسام على الممسوس بمعزل عن حشد النّاس في الكنيسة أو في مكان تقويّ لائق.	إذا كان التّقسيم ممكناً، فهو يحدث في كنيسة صغيرة أو في مكان لائق، بعيداً عن الجمهور، تتصدّره صورة المصلوب. بالإمكان وضع صورة للعذراء مريم في هذا المكان (عدد ٣٣).
وعند الضّرورة في البيت.	إذا كان الممسوس مريضاً أو من النّبلاء، أو كان هناك داعي الحشمة، فيُسوّغ إجراء الإقسام عليه في منزله.	

على المقسّم أن يأمر الموجوع حتّى يصلّي... وإذا قدر يصوم ويعترف ويتقرّب. وعلى المريض أن يرجع إلى الله، وأن يطلب خلاص نفسه بأنّة ثابتة وتواضع قلب.	٦. فليُنبّه الممسوس، إن كان حاضر الفعل صحيح الجسم، على أن يصلّي لله عن نفسه، ويصوم ويُكثر من التّصوُّف والإعتصام بالاعتراف والتّناول على رأي المرشد. وعندما يجري عليه الإقسام، فليصغ ويتّجه إلى الله ملتمساً النّجاة بإيمان ثابت عن فرط تذلّل.	يُنبَّه المؤمن المُعذَّب بأن يصلّي إلى الله قبل التّقسيم. وليلجأ إلى الأماتة، وليجدّد نعمة العماد، وليقبل سرّ المصالحة وليستعض قواه في القربان المقدّس (عدد٣٢). ليستغرق المؤمن المعذّب في التّأمّل أثناء التّقسيم. وليلتفت إلى الله، ويطلب إليه الخلاص بإيمان ثابت وبكلّ تواضع. (عدد ٣٤ ج).
وإذا ما عذّبه الشّيطان، عليه أن يصبر ويتحمّل ولا يقطع رجاه من معونة الله.	وعندما يحسُّ بمسّ شديد فليصبر متجلّداً غير قانط من معونة الله.	إذا تضاعف ألمه يجب أن يتضاعف احتماله وبصبر، من دون أن ينزع ثقته من عون الله وخدمة الكنيسة (عدد ٣٤ج).
وليكرّم صورة صليب سيّدنا يسوع المسيح وذخائر القدّيسين.	وليكن بين يديه أو نصب عينيه الصليب وصورة القدّيسين أو ذخائرهم... وتُدنى باحترام من صدره أو من رأسه. ينبغي الاحتراز من أن يلحق بالأشياء المقدّسة قلّة احترام أو اعتداء من قبل الشّيطان.	... تتصدّره (المكان اللائق) صورة المصلوب. بالإمكان وضع صورة للعذراء مريم في هذا المكان (عدد ٣٣).
أثناء التّقسيم، فليستعن الكاهن بالقربان المقدّس، وليضع الجسد الّلي في الحقّة على رأس المريض.	أمّا الافخارستيّا فلا ينبغي أن تُدنى من رأس الممسوس أو تلامس وجهه... مخافة أن تُعرَّض بذلك للامتهان.	
وعلى المقسّم ألاّ يُكثر الكلام ولا يسأل المريض عن أشياء باطلة وأشياء خفيّة... ولا يصدّق الشّيطان وقت يقول له	٧. فليحذر القسميّ من التّهافت إلى الهذر أو الأسئلة الفارغة الفضوليّة ولا سيّما في	

أنّه قدّيس أو الملاك الحارس أو نفس واحد من الموتى.

مُغيّبات الأمور الّتي لا تَعلُّق لَها بمهنته، بل فليأمر الرّوح الخبيثة بالصّمت والإجابة على ما تسأل فقط. وإذا تظاهر الشّيطان بكونه روح قدّيس، أو روح ميت، أو ملاك صالح، أو أوحى أو كشف شيئاً خفيّاً مكتوماً عن الغير فلا يُعره جانب التّصديق.

وعلى المقسّم أن يسأل الشّياطين في أيّة زمان كان دخولهم في ذلك المريض.

والحاضرون يجب أن يكون عددهم محدوداً، وألاّ يشتغلوا في الحديث وغيره... بل يصلّوا بالتّواضع وانسحاق القلب.

٨. أمّا الأسئلة الضّروريّة فهي كالسّؤال عن الأرواح المسلّمة الماسّة عدداً واسماً وعن عهد مسّها وأسبابه وما شاكل ذلك، وليردع أو يستخفّ بسائر خزعبلات الشّيطان ومُجُونه وترّهاته، ولينبّه الحاضرين الّذين ينبغي أن يكونوا عدداً قليلاً ألاّ يحفلوا بِها، وأن لا يسألوا الممسوس عن شيء بل أولى بِهم أن يصلّوا لله لأجله بخشوع.

إذا بدا أنّ بالإمكان قبول بعض الأشخاص المختارين ليحضروا حفلة التّقسيم، فليطلب منهم أن يحافظوا على الرّصانة المطلوبة وأن يصلّوا جاهدين... يُمنع عليهم أن يتلفّظوا بصيغة تقسيم استرحام أو أمر، لأنّ هذه محفوظة للكاهن المقسِّم (عدد ٣٥).
يمكن أن يساعده في الصّلاة أهله وأصدقاؤه ومعرّفه ومرشده الرّوحي، إذا كانت الصّلاة تُقام، بأكثر سهولة، بحضور مؤمنين آخرين (عدد ٣٢).

يبدأ المقسِّم بالتّقسيم، فيقول الصّلوات بلفظ صحيح وبقوّة، ويرشّ بالماء المقدّس المكامن التي يختلج فيه الرّوح النّجس في جسم المريض بشكل صليب.

٩. فليجرِ الإقسامات ويلقها بالأمر والسّلطان، وبمعظم الإيمان والخشوع. ومتى آنس من الشّيطان صدعاً شديداً، فليزد في تعنيفه والتّضييق عليه. وكلّما رأى الممسوس متأثّراً أو

يشكو ألماً في إحدى جوارحه أو يُبدي حركة عنيفة، فليرسم ثمّة شارة الصّليب، ويرشّ من الماء المبارك الّذي ينبغي أن يكون بين يديه عند إجراء الإقسام.

١٠. فليتّخذ الألفاظ التي يهتزّ لوقعها الشّياطين رعدةً وخوفاً فيكثر من إعادتها. فإذا صار إلى كلام التّهديد، فليكرّر ويُكثر من تهديده وليداوم مزيد العقوبة حتّى إذا وجد من دواء الوعيد ناجعاً، فليواظب عليه مثنىً وثلاث ورباع فأكثر من السّاعات قدر ما يستطيع إلى أن يظفر بالغلبة.

ويتنبّه إلى الكلام الذي يتعذّب منه الشّيطان فيكرّره ليزيد من وجع الشياطين وعذابهم ونفع المريض وراحته.

١١. فليحذر القسميّ من أن يعطي المريض أو الممسوس دواءً ما أو يشير له به.

ليتنبّه المقسِّم ألاّ يعطي المريض دواء، فهذا من شأن الأطبّاء.

١٢. عند إجرائه الإقسام على امرأة لا بدّ له من الإستعانة برجال أدباء يُمسكون الممسوسة حين يتخبّطها الشّيطان. وليكن هؤلاء المساعدون من ذوي قرابة المصابة إن أمكن. وعليه أن يعتصم بملازمة شعار العفّة

وإذا كان المريض امرأة، فليكن الحاضرون معه من أقاربها الذين يتمتّعون بصفات عالية في التّعقّل والإيمان.

متجافياً عن أن يقول أو أن يأتي ما من شأنه أن يتسبّب له أو لغيره بلافح من سموم الأفكار السيّئة.

١٣. فليستعمل عند إجراء الإقسام كلام الكتاب المقدّس مؤثراً إيّاه على كلامه أو كلام غيره. وليأمر الشّيطان بالمكاشفة عمّا إذا كان مقيماً بجسم الممسوس عن قوّة عمل أو علامات أو كتابات سحريّة وإذا كان الممسوس قد ابتلعها، فليلفظ بِها، أو كانت في محلّ خارج عن جسمه فليدلّ عليها ولتُحرق متى وُجدت. وعلى القسميّ أن ينصح الممسوس أن يكاشفه بمخبآت محنه وتجاربه كلّها.

وإذا ما هرب الشّيطان، وتعافى الموجوع من مرضه، ينهيه المقسِّم ويحظّره أنّه لا يعود للخطيّة كما قال في الإنجيل المقدّس لئلاّ تكون آخرته شرّ من أوّلته...

١٤. إذا نجا الممسوس، فلينبّهه ليجتهد في مجانبة الخطايا. حذر أن يسوِّل الشّيطان معاودتِه.

ينبغي على المؤمن المُحرّر من عذابه، أن يشكر الله على السّلام الذي حصل عليه، إمّا لوحده وإمّا بالإشتراك مع أحد خاصّته. وليداوم على الصّلاة مستقياً إيّاها من الكتاب المقدّس. وليواظب على أسرار التّوبة والقربان المقدّس، ولا يفوته أن يحيا حياة مسيحيّة من أعمال رحمة ومحبّة أخويّة.

٢. أوجه الشّبه بين الرّتب

إنّ الرّتبتين الثّانية والثّالثة تشيران بوضوح إلى أنّه لا يُسمح لأيّ كاهن أن يقوم بالتّقسيم من دون إذن خاصّ من الأسقف المحلّي الّذي له وحده يعود أن يمنح هذا الإذن. ينفرد المجمع اللبنانيّ بالقول بأنّ الأسقف يمكنه أن يرخّص بهذا إلى أحد الشّمامسة.

الرّتب الثّلاث تشدّد على الصّفات التي يجب أن يتحلّى بها الكاهن المقسِّم: من تقوى وكمال سيرة وطهارة وتواضع. ويجب على الكاهن المقسِّم أن يتّكل على الله، لا على قوّته. وليتجنّب أن تكون له هذه المهمّة وسيلة للرّبح. وتتميّز الرّتبة اللاتينيّة بالإشارة إلى أنّه يجدر بالكاهن المقسِّم أن يُعدّ إعداداً مُخصّصاً لهذه المهمّة.

وعلى المقسِّم ألاّ يصدّق بسهولة بأنّ إنساناً هو ممسوس. والرّتب الثّلاث تورد العلامات الثّلاث، وغيرها من الإشارات التي تدلّ على أنّ المؤمن مسكون من الشّيطان.

وفي أثناء التّقسيم، ليتنبّه المقسِّم إلى الحالات التي يمرّ فيها المريض. والرّتبتان الأولى والثّانية تلفتان انتباه المقسّم إلى الحيل التي يتذرّع بها الشّيطان فيترك التّقسيم، أمّا الثّالثة فلا تشير إلى ذلك البتّة.

والرّتب تذكّر بقول الإنجيل بأنّ «هذا النّوع من الشّياطين لا يطرد إلاّ بالصّوم والصّلاة». وعلى أن يصير التّقسيم في كنيسة صغيرة، أو عند الضّرورة في البيت بعيداً عن حشرية الجمع. إذا كان هناك بعض المدعوّين فليساعدوا بصلواتهم. كما يطلب من المؤمن أن يعتصم بدوره بالصّلاة، وليلجأ إلى الأماتة وإلى التمرّس بسرَّي التّوبة والقربان المقدّس.

وتنبّه الرّتبتان الأولى والثّانية المقسِّم بألاّ يُكثر من الكلام أثناء التّقسيم، وألاّ يطرح أسئلة فارغة. وليتنبّه ألاّ يصدّق ما يقول الشّيطان عن أنّه قدّيس أو ملاك حارس أو نفس أحد الموتى.

وتسمح الأولى والثّانية بطرح بعض الأسئلة على الشّيطان كالسّؤال عن الأرواح الملمّة عدداً وإسماً، وفي أيّ زمان كان دخولهم في المريض. وتعطي هاتان الرّتبتان نصائح للمقسِّم كالانتباه إلى الآلام التي يشكو منها المريض في جارحة من جوارحه، أو في موضع من جسمه فيصير رشّه بالماء المقدّس، والانتباه إلى أيّ كلام يتعذّب منه الشّيطان فيكرّره، والإنتباه ألاّ يعطي المقسِّم المريض دواءً وهذا ليس من اختصاصه. وإذا كان

المريض امرأة، فليكن الحاضرون من أقاربها، أو من رجال مشهود لهم بالتّديُّن والأخلاق الحميدة.

والرّتب الثّلاث تنصح المؤمن، إذا ما تحرّر من الشّيطان، أن يشكر الله ويحيا مسيحيّاً بالتّقدّم من الأسرار والقيام بأعمال رحمة ومحبّة.

أمّا العناصر التي تتكوّن منها الرّتبة فهي موجودة في الرّتب الثّلاث من إشارة الصّليب، ووضع اليدين، والنّفخ على المياه، والنّضح بها؛ ومن صلاة الطّلبة، وتلاوة المزامير، وقراءة الإنجيل، وإعلان قانون الرّسل، والصّلاة الرّبّية. وفي آخر الرّتبة تُنشد ترتيلة، وتُقال صلاة شكر وبركة.

٣. أسماء الشّيطان وصفاته

بعد دراستنا لبعض من مخطوطاتنا المارونيّة الموجودة في مكتبة بكركي، ومقارنتها مع ما ورد حول التّقسيم في المجمع اللبنانيّ ١٧٣٦، وفي المخطوطات التي ورد منها رتب التّقسيم حتّى القرن التّاسع عشر، يمكننا أن نعطي بعض الملاحظات وأن نطرح بعض الأسئلة.

إنّ الوثائق التي وردت، منذ القرن السّابع عشر، مروراً بالقرن الثّامن عشر، وحتّى التّاسع عشر، في التّقسيم تستخدم مفردات استُعمِلت في التّقليد المسيحيّ، ولا سيّما في الكتاب المقدّس، ومنها أسماء الشّيطان وصفاته.

فالشّيطان هو عنصر التّجديف، وفاعل الخبث والمساوئ، والواقع من الأنوار العليّة، والهابط إلى قاع جهنّم حيث الظّلام. إنّه روح السّوء النّجس، الخبيث، الرّجس، المختفي تحت الثّرى. إنّه خادع مُضلّ وعادم الصّورة، وقح، بعل زبول. أنّه بصورة تنّين ووجه وحش، يتظاهر كالدّخان بشبه ذكر أو أنثى، بشبه دبيب أو طائر يطير، أحياناً يتكلّم، وأحياناً يصمت، أصمّ وأطرش متخايل في اللّيل أو في مرض طويل، يضحك، يقهقه، يخترع دموع محبّة الذّات أو نهم البطن، فاسق عديم العفّة، مُنتِن شهوانيّ، ساحر منجّم، يرد في الصّبح أو في الظّهر أو في اللّيل، مصارع أو سارق، يظهر في بحر أو في نهر، في نار أو تحت عتبة.

إنّه الحيّة القديمة، الشّيطان، الشرّير عدوّ الله والبشر، المجرِّب الكذّاب وأبو الكذب، أمير العالم.

إنّ هذه الأسماء تستحضر مخلوقات روحيّة ذكيّة وتتمتّع بإرادة حرّة، أي إنّها كائنات شخصيّة خاضعة لله، ولكنّها أسمى من البشر في نظام الخلق. إنّهم «لجيون»، وإن كانوا يتعلّقون جميعهم برئيس واحد يسمّى الشّيطان أو الشرّير. لكلّ واحد منهم شخصيّته وطريقة خاصّة به للعمل. قد لا يصدّق ذلك بعض اللاهوتيّين، ولكنّ هذا كان، ولا يزال إيمان الكنيسة الذي لا يمكننا أن نمحوه بشحطة قلم، أو بضحكة فيها الكثير من الاستهزاء.

٤. أعمال الشّيطان وردّ المقسِّمين السّريع

إنّ المفردات التي وردت في تقليد الكنيسة كلّه، وفي هذه المخطوطات، هي مفردات حربيّة تقريباً. إنّ الأمر يتعلّق بحرب حقيقيّة يَشهرها العدوّ ضدّ الله والمسيح والكنيسة وجميع مؤمنيها. يقود المسيح هذا الصِّراع، وينتصر، إذ يستعمل الأسلحة التي تخصّه (صليبه وقيامته وقوّة روحه..) ويدعو كلّ مؤمن إلى أن يصارع معه بمعونة كنيسته.

يستطلع الشّيطان الموقع، ثمّ يهجم، ويخضّ ويعذّب ويقسو على المؤمنين، ويحاصرهم، ويعمل جهده كي يستولي على واحد وواحد منهم. والمسيح من ناحيته، والمقسِّم باسمه يأمره بسلطان، ويرمي بكلّ ثقله عليه باسم الرّبّ قائلاً: «إخلِ المكان، إنسحب، واعترف بقدرة الله، وأدِّ له الإحترام». يجبره على الطّاعة ويأمره بالخروج حتّى ينتشل المؤمنين من تحت سيطرته، ويخلّصهم من سلطانه ويحرّرهم من حيله...

في هذا الصّراع ليس المقسِّم سوى إنسان ضعيف وخاطئ، يتسلّح بإيمانه وبرسالة المسيح التي سلّمته إيّاها الكنيسة. إنّه خادم بسيط للخالق، وقوّته البشريّة لا تُقاس بقوّة العدوّ:

«أنت تأتيني بالسّيف والرّمح والمزراق، وأنا آتي باسم ربّ الجنود، إله صفوف إسرائيل الذي أنت قرّعته»[١].

١- ١ ملوك ١٧، ٤٥.

لهذا، على المقسِّم ألاّ يلجأ فقط إلى الأسلحة البشريّة. إنّه، باسم المسيح وبصليبه الظّافر وبطاعته للكنيسة، يمكنه أن يجرؤ فيجبه العدوّ. إنّ التقنيّات البشريّة التي يوحي بها التّفكير السّليم، والأساليب المتنوّعة التي يقدّمها علم النّفس الحديث، يمكنها أن تشكّل عوناً مفيداً وضروريّاً، ولكنّها من دون فعاليّة على الشّيطان بعينه.

«تُساهم الكنيسة بانتصار المسيح على الشّيطان، لأنّ المسيح قد أعطى تلاميذه السّلطان ليطردوا الشّياطين. والكنيسة تُمارس هذا السّلطان بالنّصر بواسطة الإيمان بالمسيح والصّلاة؛ سلطان، في حالات معيّنة، يمكن أن يأخذ شكل التّقسيم» (يوحنّا بولس الثّاني).

خاتمـــة
التّقسيم ضروريّ

يغدو التّقسيم ضروريّاً عند الشّعور بعمل شيطانّي قد تخطّى الحدّ. هناك درجات مختلفة في اقتحام الشّيطان حصن شخص ما، كما أنّ هناك فرقاً بين التّجربة والإمتلاك الكامل. فالتّمييز بين حالة وحالة يعود إلى كلّ كاهن مقسِّم.

إنّ الحاجة إلى الكاهن المقسِّم تبدو ملحّة بعد أن يكون الشّخص المريض قد استنفد كلّ الوسائل الضّروريّة في الصّراع الرّوحيّ، ولا يمكنه أن يتقدّم من دون مساعدة الكنيسة له.

إنّ غياب المقسّمين يضّر بدرجة أولى بالأشخاص الطّيّبين الذين يحاصرهم خوف جنونيّ من سيطرة الشّيطان عليهم، والذين، بدون عون الكنيسة لهم، إمّا تخور عزائمهم في صراعهم ضدّ قوى الظّلام، وإمّا يلجأون إلى المشعوذين الذين يستغلّون تعاستهم والصّعوبة التي هم فيها.

إنّ غياب المقسّمين يضرّ ضرراً فادحاً بالذين يتقدّمون في الإيمان. مَن يهرع لمساعدة الذين يُعذَّبون بسبب أمانتهم، إن لم يكن المقسِّمون؟ إنّها لمهمّة كبرى من مهامّ الكاهن أن يسارع إلى مساعدة المؤمنين من أبناء الكنيسة. في بعض الحالات، يكون السّبب الأساسيّ للصّراع مع الشّيطان الإتّحاد بالمسيح. إنّنا لمدعوّون جميعاً أن نحيا هذا الجزء من سرّ المسيح: الصّراع في الصّحراء، والصّراع في الآلام، وساعة الظّلمة. إنّ بعض النّفوس مدعوّة بطريقة سريّة لتحيا هذا الصّراع وبامتياز.

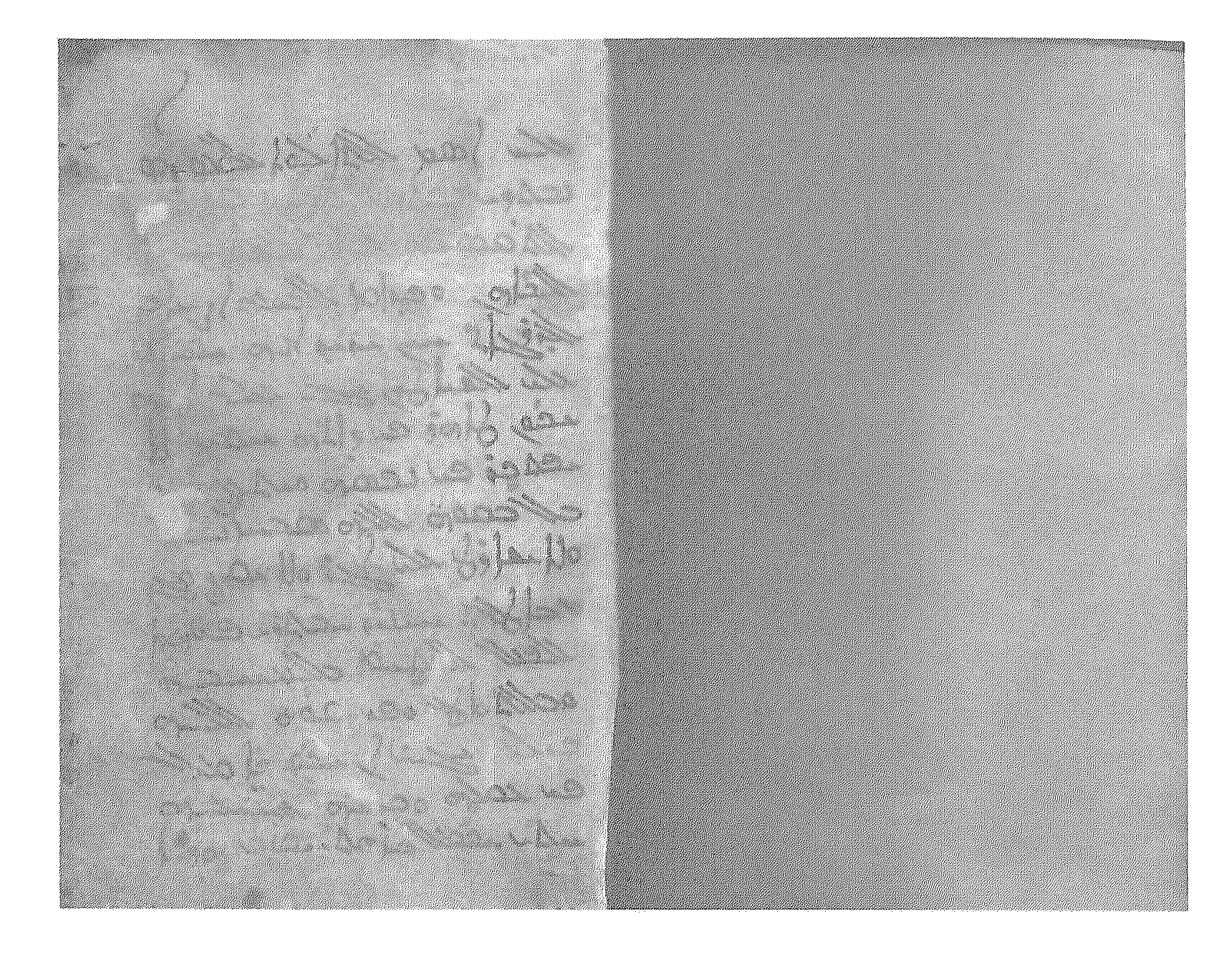
إنّ غياب المقسّمين يضرّ أيضاً ضرراً خطيراً بكشف حبائل الشّيطان وحِيَله. وهذا، تساعد عليه خدمة الكاهن المقسّم.

على كلٍّ، حتّى ولو أنّ التنّين يثور غاضباً ضدّ البشر كي يمنعهم من اللجوء إلى الله، نحن نعلم أنّ المسيح قد انتصر على قوّات الظّلام بآلامه وقيامته. ولكنْ، كما يعلِّم المجمع الفاتيكانيّ الثّاني، إنّ هذا الصّراع يدوم إلى نهاية الأزمنة.



ملحق المخطوطات

المخطوط ٢٢



[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

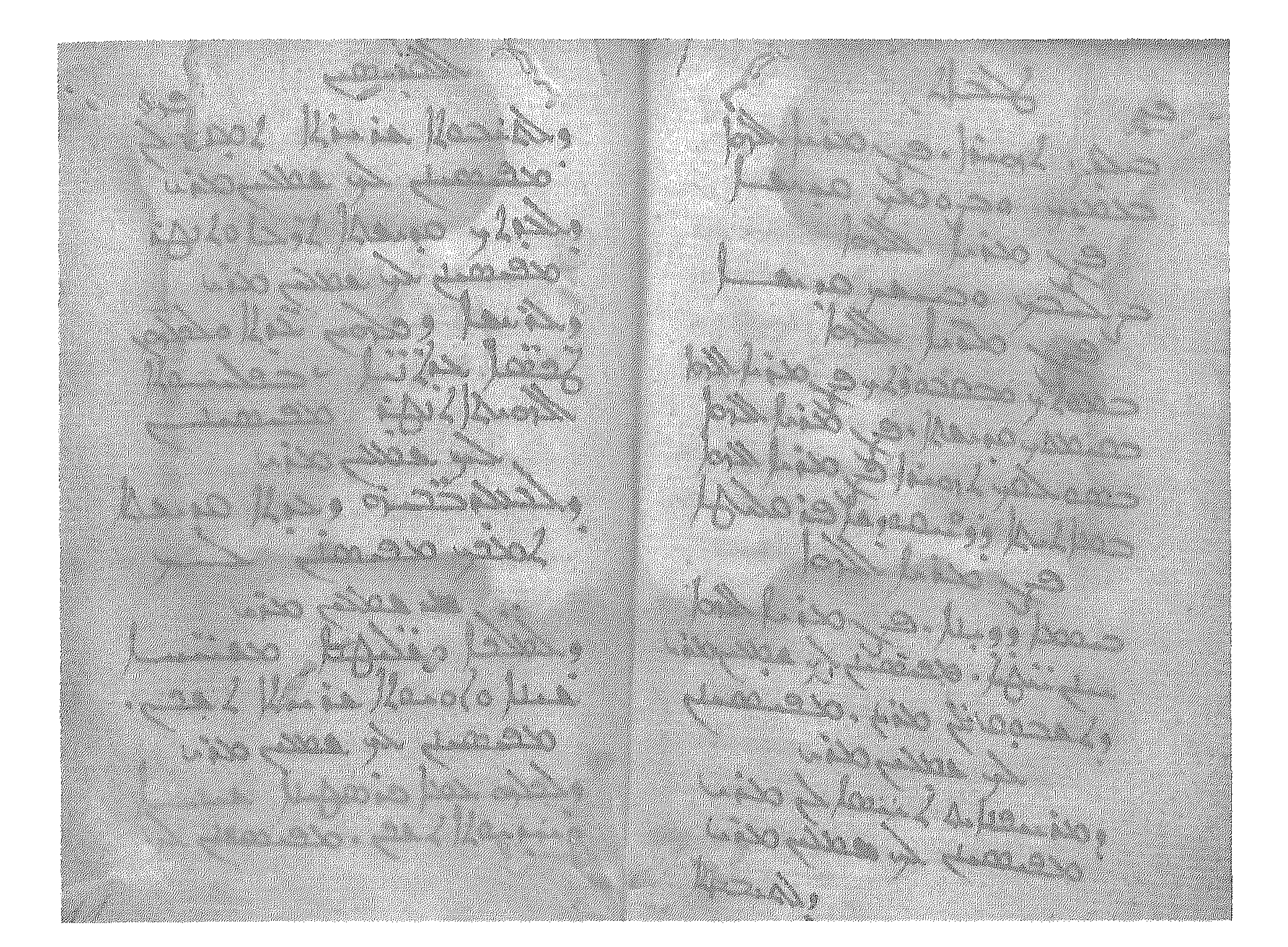
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

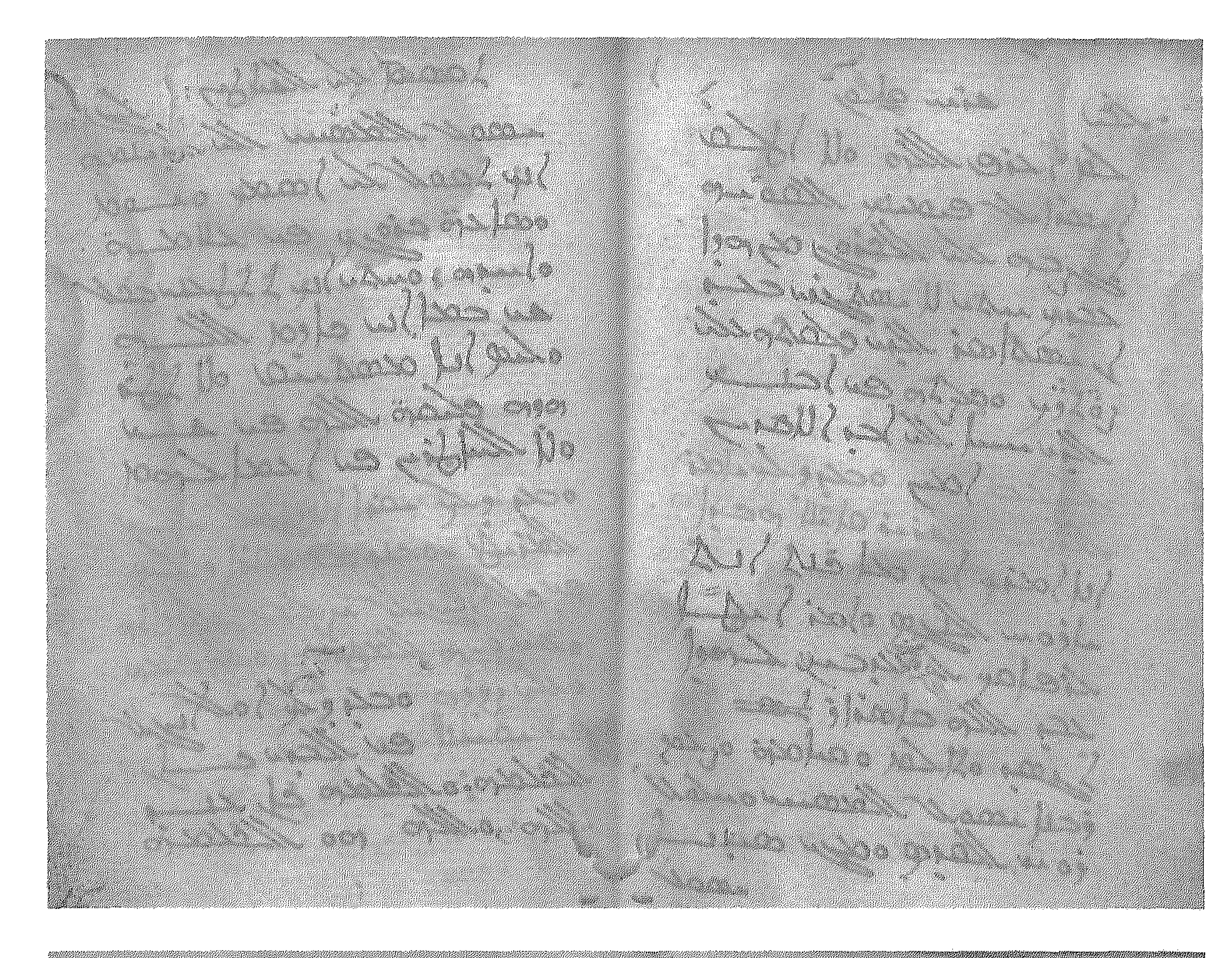


[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

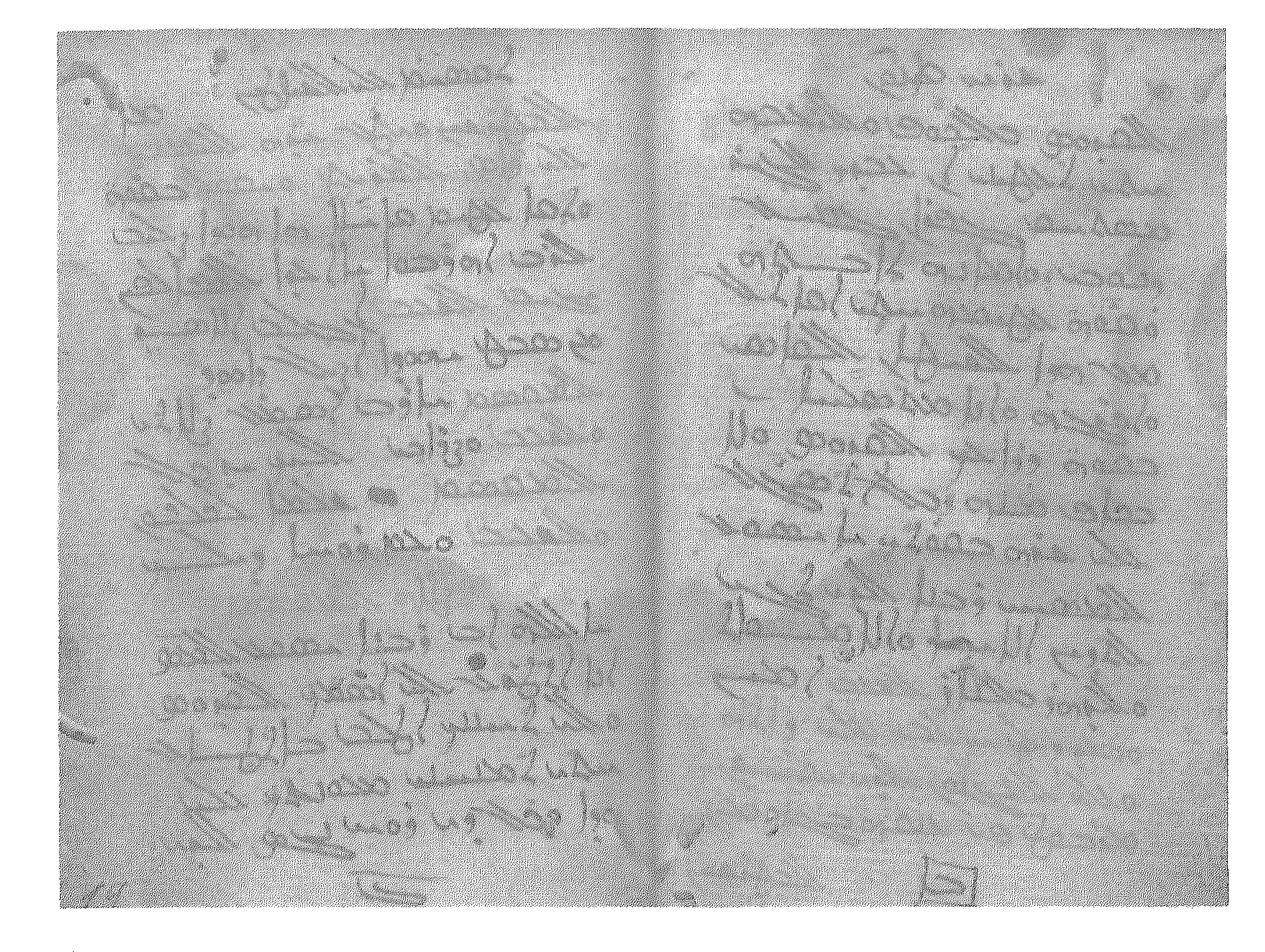


[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]



[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

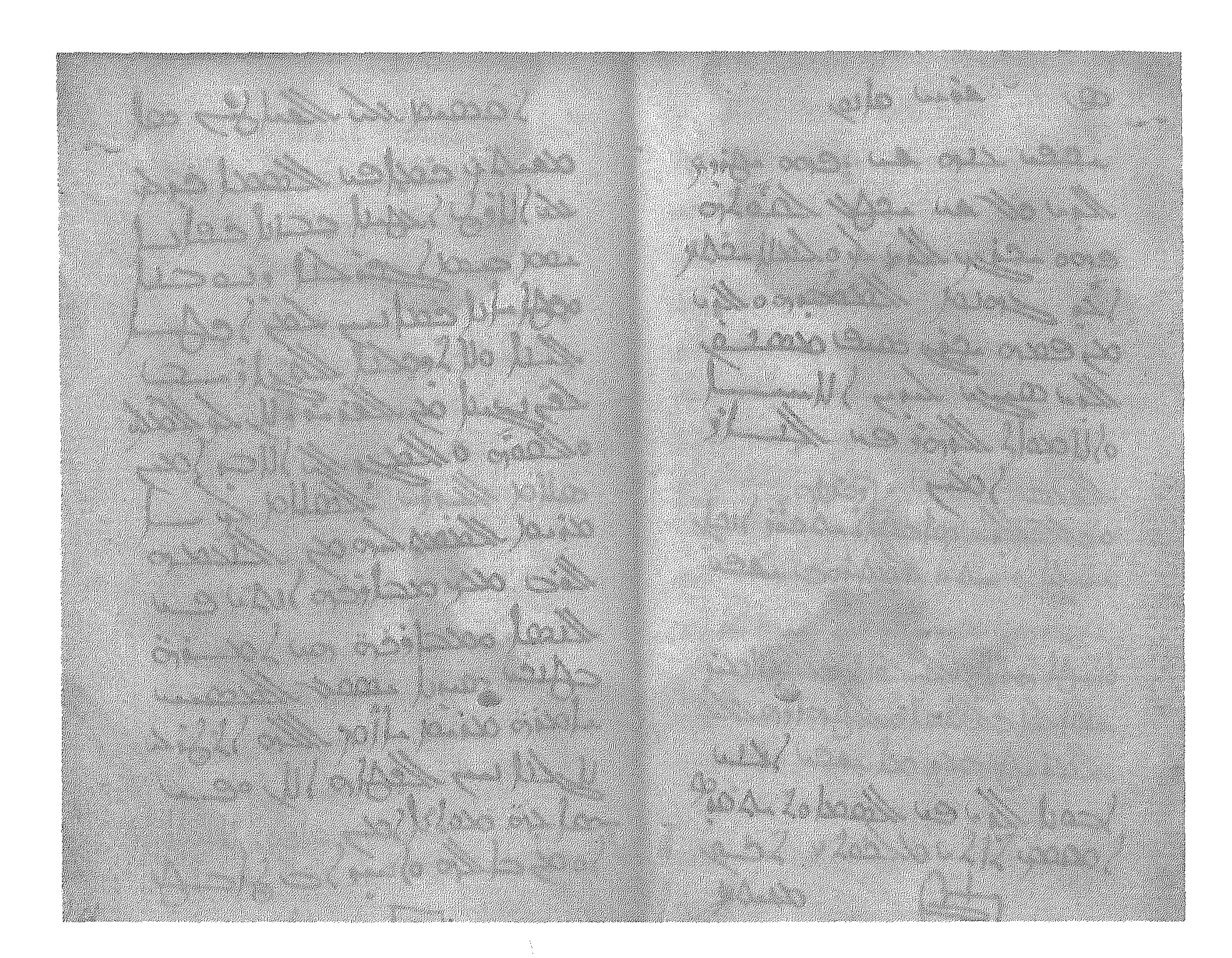
[illegible] ܘܐܠܗܐ [illegible]
ܘܐܠܗܐ [illegible] ܘܐܠܗܐ [illegible]
[illegible] ܘܐܠܗܐ [illegible]
ܘܐܠܗܐ [illegible] ܘܐܠܗܐ [illegible]
ܘܐܠܗܐ [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]



[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

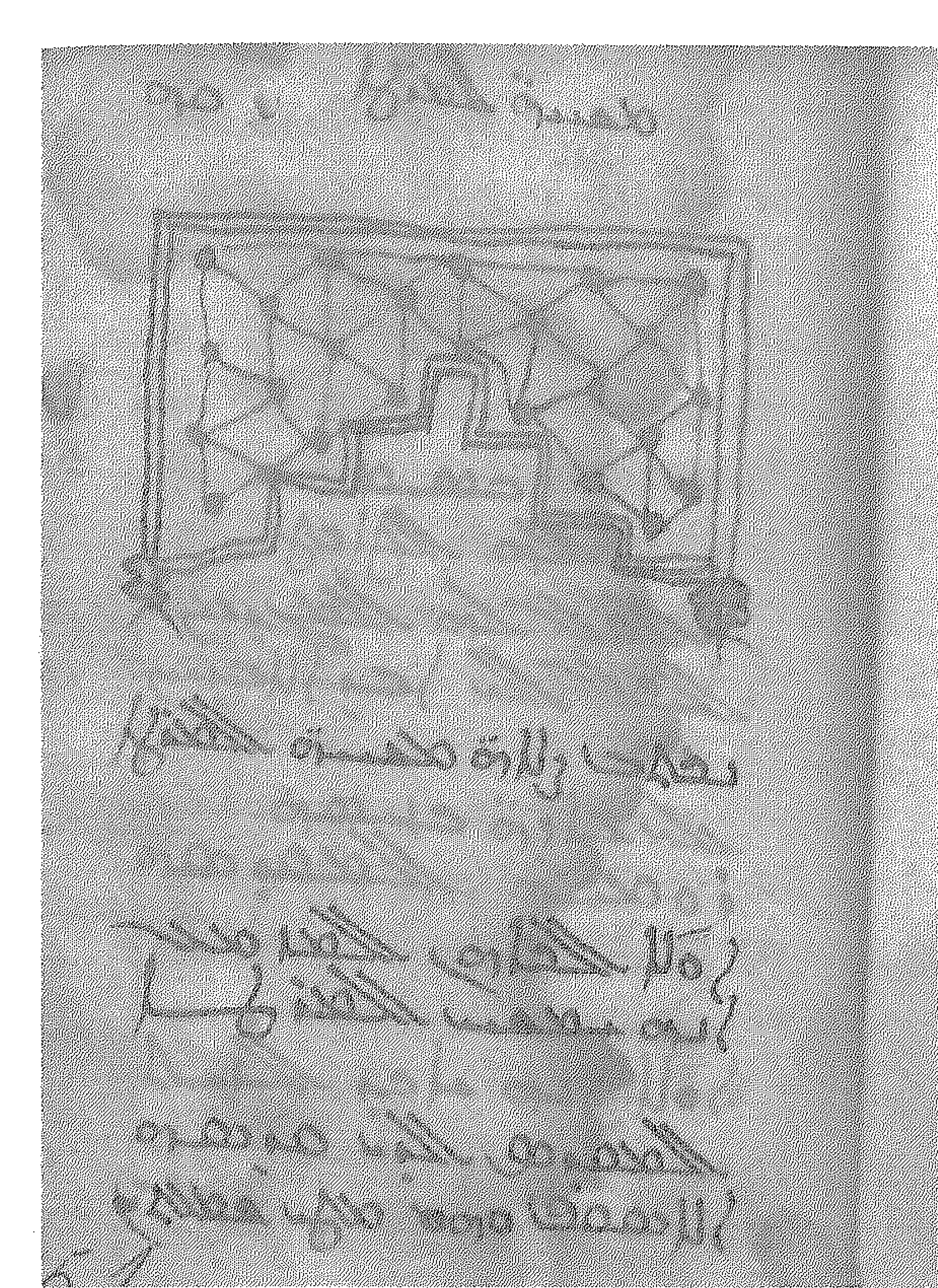
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]



المخطوط ٣٤

المخطوط ٣٥

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

المحتوى

- لاهوت كتابي
- مخطوطات
- العمل الشيطاني




ISBN 9953-418-90-X
9 789953 418902